الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعـــة عبـد الرحمـن ميـرة – بجايـــة-

كليـة الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

# الرمز في أسطورة أنزار القبائلية
# رمز الماء والأرض والمرأة أنموذجا

**مذكرة لنيل شهادة ماستر في الأدب الجزائري**

**من إعداد الطالبان:**
- واري أعمر
- يوكنان كهينة

**تحت إشراف الدكتور:**
- بن لباد سالم

**أعضاء لجنة المناقشة**

| | | |
|---|---|---|
| د. فريد ثابتي | أستاذ محاضر أ جامعة بجاية | رئيسا |
| د.سالم بن لباد | أستاذ محاضر أ جامعة بجاية | مشرفا ومقررا |
| د. نصيرة ريلي | أساتذة مساعدة جامعة بجاية | ممتحنا |

**السنة الجامعية 2016/2015**

بسم الله الرحمن الرحيم

# شكر وعرفان

الحمد لله رب العلمين حدا يكافئ نعمه و يوافي مزيده ....

و أتقدم بجزيل الشكر و الامتنان إلى أستاذي الفضل الدكتور سالم بن لباد لقبوله الإشراف على هذه المذكرة للوجود الشكر على هامش الحرية الذي منحني إياها أثناء البحث.

وأيضا على تواضعه الذي عز نظيره ورفعة ذوقه وسعة لصدره لقبوله فضولي و مشاكستي.

# الإهداء

إلى جدي و جدتي أطال الله بقاءهما

إلى أمي وأبي فليخفضهما الله.

إلى جميع أفراد عائلتي: أخوتي،أعمامي و أخوالي كل باسمه و مقامه عندي.

إلى كل من تقاسمت معه لحظة أمل و ألم، و الذين لا يتسع المقام لذكرهم جميعا

وإلى أساتذتي الأجلاء وكل

من قاسموني مقاعد الدراسة من الطلبة والطالبات.

أهدي هؤلاء جهد السنين.

أعمر

# الإهداء

أهدي ثمرة جهدي هذا إلى أجمل ما في الوجود، مصباح دربي ومصدر إلهامي، والى من تعب على تعليمي والذي غرس حبه وفؤاده في كياني «أبي" أطال الله في عمره.

وإلى نبع الحنان ومن تحت أقدامها الجنات، التي لطالما رافقتني بدعواتها وجعلت ضلوعها قفصا لآمالي وعشا لأحلامي "أمي" حفظها الله.

وإلى أخي هشام وأختي ليندة، وإلى كل أعمامي وزوجاتهم وأبنائهم، والى خالي وزوجته وأبنائه.

إلى صديقاتي رفيقات الدرب وإلى كل زملائي في قسم اللغة والأدب العربي

كهينة

# المقدمـــــــة

لقد ظل الموروث الشعبي يتناقل شفاها وعبر قنوات متعددة وغير مرئية في المراحل الأولى للثقافة الشعبية المتوارثة إذ انه يشكل التكون الأول للعقل الإنسان في كل بيئته ويرسم ويرصد ردود الأفعال العقلية والوجدانية التي صدرت عن الإنسان أثناء ممارسته البدائية الأولى للحياة في بيئته وما يحيط بها من ظروف الطبيعية المختلفة. ثم أخذ الاهتمام ينصب منذ فترة على الدراسات الشعبية بعدما أدرك الباحثون أن هذا الميدان ليس مجرد مجال ضيق يرتبط بفئة معينة وينحصر في عاداتها وتقاليدها فحسب، وإنما هو الصافية التي تعكس بصدق وإخلاص حقيقية تفكير الشعب والصورة الصادقة لتعبير عن نفسه، بمكوناته المختلفة وعناصره الجنسية المتعددة والثقافات التي تصب فيه فكان هذا وغيره حافزا قويا دفعني إلى الخوض في غمار هذا العمل.

من أجل نفض الغبار عن الأساطير الأمازيغية عامة والقبائلية خاصة منها تلك تكاد تندثر باعتبار أن إنسان في هذا العصر أضحى بعيد عن ماضيه وما يحمله الأسلاف والأجداد.

واخترنا أن تكون أسطورة أنزار هي المدونة باعتبارها الأسطورة الوحيدة الشائعة والمنتشرة في الجزائر عامة ومنطقة القبائل على وجه الخصوص، وجاءت إشكالية البحث كالتالي: ماهية أهم دلالات رمز المرأة والارض والماء في أسطورة أنزار ؟

واعتمدنا في تحليلنا لهذه البحث على المنهج التاريخي حين تتبعنا نشأة الأسطورة والرمز،والمنهج الوصفي التحليلي في تعاملنا مع نص أسطورة أنزار، بحيث استخرجنا أهم الرموز الدالة على الماء والأرض والمرأة وتبيان دلالاتها.

وأما مخطط البحث فقد انقسم بين أيدينا إلى المقدمة وأربعة فصول تناولنا في الفصل الأول كل ما يتعلق بمصطلح الأسطورة لغتا واصطلاحا. وعرجنا على خصائص الأسطورة وتناولنا الفرق بينهما وبين الأشكال الشعبية الأخرى كالخرافة والحكاية الخرافية، ثم تناولنا أنواع الأسطورة وتصنيفاتها.

أما الفصل الثاني والثالث والرابع فقد أردناه دراسة تطبيقية، فتناولنا في الفصل الثاني رمز الماء في الأديان، ثم وقفنا عند رموز في المعتقد الشعبي الجزائري، وتتبعنا الأساطير تاريخيا ابتدءا من الأساطير السومرية واليونانيةوالمصرية وصولا إلى الهندية، أما الفصل الثالث فخصصناه للحديث عن رمز الأرض في أسطورة أنزار، والفصل الرابع فخصصناه للحديث عن رمز المرأة أيضا في أسطورة أنزار، وجاءت الخاتمة عبارة عن أهم النتائج المتوصل إليها من البحث.

واعتمدنا في بحثنا على مجموعة من المصادر والمراجع المعتمدة في البحث نجد منابع السفر والتكوين لسيد القمني، وكتاب التراث والحداثة في أشعار لونيس أيت منقلات لأمحمد جلاوي، وكتاب مغامرات العقل الأولى لفراح سواح، وكتاب الأساطير اليونانية والرومانية لأمين سلامة، وتوزعت بحسب مواضعها من البحث.

وقد واجهتنا صعوبات كثيرة في هذا البحث خاصة تلك المتعلقة بالجانب الميداني وتعاملنا مع النصوص باللغة الأمازيغية، وكذلك عملية جمعها وتوثيقها، وأما الصعوبة المتعلقة بأساسية البحث أي الموضوع فكان الإشكال في كون الموضوع جديد لم نجد مراجع حوله هو ما دفعنا إلى الارتجال وخوض جولة في الديانات الأخرى غير الإسلام.

في أخير نتمنى أن نكون قد وفقنا ولو بالقليل في هذا البحث، ونكون قد أزحنا الغموض للباحثين المقبلين على مثل هذه المواضيع.

# المدخـــــــل

بات من المعروف اليوم أن الإنسان يعيش في عالم من الرموز:" فهو إذ أنشأها أول مرة، تأنس بها في فهم وجوده على مرّ التاريخ"[1]، و لا يذهبنا في البال أن هذه النشأة خطط لها الإنسان عن وعي منه مسبقا، إذ أن الرموز لا تعدو أن تكون في مبدئها إنتاجا عفويا وطبيعيا، و قد عبر كارل غوستاف يونغ (G.G.Yung)، عن هذا المعنى في صورة جميلة في قوله:" Aucun génie n'a jamais pris une plume ou un pinceau on se disant maintenant je vais inventer un symbole ». حتى أصبحت فيما بعد جزءا من كيانه وتتلبس به تلبساً بل بات هذا الإنسان على بينة بأن افتراض وجود عالم بلا رموز معناه: الموت الروحي للإنسان"[2]، و اعتبارا لهذا التلازم بين للإنسان والرمز وتعدد مجالات استخدام الرموز، اخترنا الاشتغال على الرموز من منظورات الأديان، المعتقد الشعبي الأسطورة.

## 01. الرمز في المعاجم العربية:

### أ .الرمز لغة:

له معان كثيرة و مختلفة منها:" الرمز تصويت خفي باللّسان كالهمس و يكون بتحريك الشفتين بكلام غير مفهوم باللّفظ، من غير إبانة بصوت، إنما هو إشارةبالشفتين. و الرمز في اللغة: كل ما أشرت مما يبان بلفظ بأي شيء أشرت إليه بيد أو بمعنى"[3].

ويكون إذا همسا أو تحريك الشفاه من غبر إصدار صوت.

واتفقت المعاجم العربية على أن "الرمز" تعني لغة "الإشارة والإيماء" غير أن الاختلاف وقع في وسيلة الإشارة والإيماء، كأن تكون باللّفظ أم تكون بأحد الجوارح أو بغيرها من الأشياء.

كما جاءت كلمة"الرمز" في القرآن الكريم في قصة سيدنا زكريا عليه السلام، قال الله

[1] –Essai d'exploration de l'inconscient :L'homme et ses symboles (ouvrage collectif) ,ed , Robert l'affront, Paris , 1964. P 55.

[2]–Jean Chevalier : Dictionnaire des symboles, ed Robert Laffont, paris, 1982.(introduction).

[3]– آمنة مقران: الرمز في شعر مصطفى الخماري، مخطوط رسالة لنيل شهادة الماجستير، كلية الآداب و اللّغات الإنسانية، قسم اللّغة العربية و آدابها، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2010،ص 2.

تعالى:"ربي اجعل لي آية قال آيتك ألّا تكلم الناس ثلاثة أيام إلّا رمزا"[1].

ولفظ الرمز في هذه الآية جاء بمعنى:"أن تعجز عن تكليمهم بغير علة، فلا تتفاهم معهم إلا بالإيماء والإشارة"[2]، والإشارة هنا يقصد بها إما تكون باليد أو بالرأس.

وهو نفس ما ذهب إليه الزمخشري في قوله:"دخلت عليهم فتغامزوا وترامزوا"[3]، فجعل وسيلة الرمز بالشفتين والحاجبين.

ولم يختلف ابن كثير عن هذا بقوله:"أي إشارة لا تستطيع النطق مع أنك سوي صحيح".[4]

أما الأزهري في كتابه التهذيب، فيعرف الرمز:"الحركة والتحرك (...) كما يقال للجارية الغمازة بعينها غمازة، أي ترمز بفمها وتغمز بعينها..."[5].فالرمز بهذا المفهوم الهمس بالصوت والغمز بالحاجب والاشارة بالشّفة ويكون الرمز هو سبيل التعبير عن تلك الإشارات.

بينما ابن منظور كان أوضح الجميع وأكثرهم توسقا حيث اعتبر الرمز إشارة بأحد الجوارح أو غيرها من الوسائل المتاحة إذ يرى أن الإشارة تكون "تصويتا خفيا باللّسان كالهمس، كما يكون بتحريك الشفتين بكلام غير مفهوم من غير إبانة الصوت، وإنما هو إشارة بالشفتين وقيل الرمز إشارة وإيماء بالعينين والحاجبين والشفتين والفم، والرمز في اللّغة كما أشرت إليه مما يبان بلفظ "[6]، وهذا هو التعريف الواضح الشامل الذي ألمّ بكل التعاريف التي ذكرت سابقا.

---

[1]– سورة آل عمران، الأية:41.

[2]– المصحف الشريف مع أسباب النزول، فهرس المواضيع و الألفاظ، تحقيق محمد حسن الحمصي، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ص 55.

[3]– الزمخشري: أساس البلاغة، ج 1، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1988، ص 385.

[4]– ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج2، دار الفكر للطباعة و النشر، بيروت، 1965، ص 251.

[5]– أبو منصور بن أحمد الأزهري: تهذيب اللّغة، مادة رمز، تحقيق أحمد عبد العليم البردوني، مراجعة: علي محمد البجاوي، الدار المصرية للتأليف و الترجمة، مطابع القاهرة، مصر، ص 250.

[6]– أبو الفضل جمال الدين محمد ابن منظور: لسان العرب، ج05، دار صادر و دار بيروت للطباعة و النشر، بيروت، 1955، ص 356.

## ب .الرمز اصطلاحا:

إذا ما عرفنا الرمز بمعناه العام الواسع: فهو تعبير غير مباشر عن فكرة بواسطة استعارة أو حكاية بينها وبين فكرة مناسبة، وهكذا يمكن الرمز في التشبيهات والاستعارات والقصص الأسطوري والملحمي وغير ذلك، واتخذه الناس قديما ليبرزوا قيمة الفكرة بواسطة الاستعارة الحسية.

واختلفت المفاهيم وتعددت، "نادرا ما نجد مصطلحا كهذا تعرض لكثير من الاضطراب والعمومية في فهمه"[1].

إن كلمة"الرمز" قديمة جدا،"والكلمة تعود إلى العصور اليونانية القديمة، وكان لها فيها تاريخ معقد..."[2].فكلمة رمز(Symbole) مأخوذة من اليونانية (sun-bolan)[3] أي بمعنى قطعة من الخزف أو الخشب التي تقسم بين شخصين بيد كل واحد منهما قسم، والتي تجمع بينهما قرابة أو صلة إمّا أن يكونا ضيفين أو صديقين أو دائنا ومدينا، ولما تجمع هذه القطعة بين قسمين يعترف الطرفين بما بينهما من صداقة أو دين وغير ذلك.

كما استعملت الرموز في اليونان القديمة باعتبارها علامات تسهل للآباء بذلك العثور على أبنائهم المعروضين للبيع.

"وقد اكتسبت كلمة (الرمز)بعد العصر اليوناني وما راج بعده من ديانات قديمة وصولا إلى عصر المسيحية الأول – معنى دليل انتماء إلى الجماعة الدينية الواحدة "[4] أي بمعنى اقتسام حقيقة دينية واحدة ليس لها دلالة إلّا عند هذه المجموعة، وعلى ما يبدو فإن هذا المفهوم لم يتغير طوال فترة العصر الوسيط.أما في العصر الحديث فيعرفه أدونيس أنه:" اللّغة التي تبدأ حين تنتهي لغة القصيدة أو

---

[1]– محمد فتوح أحمد: الرمز و الرمزية في الشعر المعاصر، دار المعارف ا، القاهرة، مصر، ط3، 1984، ص 32.

[2]– رينيه ويليك: مفاهيم نقدية، ترجمة محمد عصفور، سلسلة كتب ثقافية شهرية، الكويت 1923.1990، ص47.

[3]–Jean Chevalier, Dictionnaire des Symboles , ed, Robert laffiront, Paris, 1982.

[4]– بسام الجمل: من الرمز إلى الرمز الديني، (بحث في المعنى و الوظائف و المقاربات)، مطبعة التشفير الفني بصفاقص، ط1 ، 2007، ص 13.

هو العقيدة التي تتكون في وعي القارئ بعد قراءته لقصيدة ...إنه البرق الذي يتيح للوعي أن يستشف عالما لا حدود له"[1].

والحديث عن الرمز الحديث يحيلنا مباشرة لبودلير الذي كان يرى أن "كل ما في الكون رمز، وكل ما يقع في متناول الحواس المختلفة من علاقات، وفي رحاب نظرية التراسل البودليرية عدا الرمز الحديث لغة الرؤيا التي تصل الواقعي بالخيالي والأسطوري الماضي بالحاضر والمستقبل الإقليمي بالقومي والإنساني الذاتي بالعام على نحو دلالي كثيف تزداد كثافته ويشتد غموضه وتكثر تفسيراته، إذ يستحيل أن يفصح عن مدلولاته لقارئ واحد"[2].

والرمز هنا يستمد قيمته من مجموع العلاقات بين الخيال والحقيقة وبين الحقبات الزمنية وغير ذلك، والرمز يتغير مدلوله من متلقي لآخر. و اختلفت المفاهيم وتعددت الآراء للمصطلح فكان القرن التاسع عشر هو البداية الحقيقية لاهتمام علماء الأنتروبولوجيا بدراسة الرموز. و بطبيعة الحال لم تبلغ من الدقة والعمق ما وصلت إليه الدراسات المعاصرة."وبالإمكان تعيين معنى الرمز و تدقيقه، و ذلك بمقابلته مع ما يخالفه أو ما يتصل به من مفاهيم أخرى عديدة قد تلتبس به في الظاهر أو قد تقوم في الذهن حقيقة لمطابقة المفهومية بين عدد منها، ويظهر ذلك كله في مفاهيم من قبيل المجاز ( Allègre) والدليل اللّغوي(Signe) والشعار (Emblème) والشيمة أو النسق(Schème) "[3] وما جاء هنا هو محاولة تحديد "الرمز" بمفهومه الصحيح وذلك بمقارنته بما طابقه أو خالفه من المفاهيم القريبة إلى معنى الرمز.

مصطلح الرمز تعرض للكثير من التناقض في فهمه وشرحه، فنلاحظ أن الكثير من الباحثين قد أشاروا إلى تعدد مفاهيم "الرمز" ويعود ذلك إلى تعدد الحقول المعرفية التي تعالجه، منها علم النفس،وعلم الاجتماع، واللسانيات وصولا إلى البلاغة والأدب والحقل الذي يدرس فيه الرمز هو الوحيد الكفيل بتحديد مفهومه وإعطاءه أبعاده.

---

[1]– أدونيس: زمن الشعر، دار العودة، بيروت، ط3، 1980،ص 160.

[2]– ابراهيم رماني: دراسة أدبية ( الرمز في الشعر العربي الحديث)، مجلة اللّغة و الآداب، ص 76.

[3]– بسام الجمل: من الرمز إلى الرمز الديني (بحث في المعنى و الوظائف و المقاربات)، مطبعة التسفير الفني بصفاقس، ط1، جانفي 2007، ص 16.

## مفهوم الرمز في علم النفس :

تتبع قيمة الرمز ودلالته من الرغبات الدفينة في اللاشعور ثم كبحها وكبتها استجابة للأعراف والرقابة الاجتماعية والدينية.

ونعود في هذه إلى دراسات كل من " سيغموند فرويد" و"كارل غوستاف يونغ"، أمّا صاحب نظرية اللاشعور فينظر إلى الرمز على أنه تعبير عن الرغبات المكبوتة في اللاشعور وذلك نتيجة الممارسات الاجتماعية والأخلاقية على الفرد. إذ يرى أن الدافع في العمل الأدبي والفني كما الحلم هو اللاشعور والرمز مجرد متنفس تخيلي يشير الى تلك الرغبات .

والرمز عند "**فرويد**" غير دقيق فهو مجرد "دلالة أو اشارة إلى شيء معين فهو مجرد وسيلة لمعالجة الاضطرابات النفسية ".[1]

أمّا العالم "**كارل غوستاف يونغ**" فيرفض تماما التفسير الفرويدي للرمز، فيخبرنا عن دلالة أعمق للرمز و يوجهنا بذلك الى الحدس "للقارئ الحدس وهو عملية نفسية في تفسير النغم الرمزي لأنّ الرمزية تؤْثر الاختصار في التعبير، وتعتمد اللمح الذي يشير الى الانفعالات دون أن تعريها"[2] . فالحدس يعد الأداة الوحيدة التي لها القدرة على تقريبنا وتمكينا من فهم الرمز.

## مفهوم الرمز في اللسانيات :

الرمز (symbol) عند سوسير يقابل الدّال (sinifiant) و المرموز إليه يقابل عنده المدلول (singnifie) ، و لقد استخدم "سوسير" كلمة الرمز لتعيين العلامة الألسنية التي يسميها الدّال.يقول:" إنّ للرمز صفة ليست هي شكل عام اعتباطية أبداً ، وهذا الرمز ليس بفارغٍ أيضا ، إذ هناك بعضا من ملامح الرابط الطبيعي بين الدّال والمدلول ، و لكن لا يمكن تبديل الميزان وهو رمز للعدالة بأي شيء آخر العربة مثلا"[3]. ويشير هنا إلى طبيعة العلاقة في الرمز والتي تختلف عن العلاقة في العلامة اللسانية.

---

[1] – مصطفى ناصف : الصورة الأدبية ، مكتبة مصر ، القاهرة 1958 ص 170 .

[2] –نسيب نشاوي : المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر ،ديوان المطبوعات جامعة الجزائر 1982 ص 270 .

[3]– F desoussur :cour de linguistique géneral .pag paris .1978.p98

والرمز عند "سوسير" غيّر العلامة فإذا كانت الأخيرة تكتسب دلالات متنوعة من خلال سياقات مختلفة ، فإنّ الرمز بدوره يشير الى سياقات متباينة ودلالة الرمز بذلك تستمد من العلامة .

**مفهوم الرمز في الأدب :**

يزداد النص الأدبي غموضا وضبابية كلما تقدمنا في الزمن . وأصبحت القراءة لا تقوم إلاّ على التأويل، فلم يعد هنالك معنى حقيقي للنص الأدب الحديث ويعتبر مثل هذا الغموض ميزة تستدعيها الحداثة، يقول أدونيس في ذلك :"جوهرا أصيلا في الشعر نشأ من اعتماد لغة مجازية خيالية ، تعبر عمّا تعجز عنه اللغة البشرية العادية".[1]و بهذا اتجه النص الأدبي اتجاه الغموض مستعملا بذلك خاصية فيه تسمى"الرمز". وهكذا يأخذ الرمز بعده الأساسي في العمل الأدبي فهو بمثابة"الصاروخ السائل في سموات الأدب الحديث " [2].

و الرمز الأدبي يقوم على ميزتينهما:

"–**الميزة الأولى** : تتلخص في أنّ لكل رمز فني صورتين أو مستويين ، صورة الشيء المحسوس وصورة الشيء المعنوي، واندماج الصورة الأولى، والصورة الثانية يولد الرمز"[3] أي لكل صورة معنوية ما يقابلها من المحسوس والرمز ينتج في تداخل هاتين الصورتين .

"–**الميزة الثانية:** وهي تحديد نوع العلاقة التي تربط الصورة الحسية بمعناها الرمزي أي علاقة المشابهة بين الصورة الحسية والمعنى المرموز به إليها"[4]. وهذه الميزة تبحث عن نوع وطبيعة العلاقة بين كلا من المعنى وما يقابله من صورته الحسية.

---

[1] –ابراهيم رماني : الغموض في الشعر العربي الحديث ، ديوان للمطبوعات الجامعية ،الساحة المركزية بن عكنون الجزائر،1991 ، ص ،273

[2]–فايز الداية :جماليات الأسلوب الصورة في الأدب العربي ، دار الفكر ، دمشق ،سوريا، ط2 ،1996 ،ص175 .

[3]–زوبيدة بوغواص : الرمز في مسرح عز الدين جلاوجي ، رسالة لنيل شهادة الماجستير ، كلية الآداب واللغات ، قسم اللغة و الأدب العرب جامعة الحاج لخضر ، باتنة ،ص21 .

[4]–المصدر نفسه ،ص21

**الرمز التاريخي:**

اتجه الشعر العربي لقراءة التاريخ، وهي محاولة لإثبات تواصلهم مع الماضي وذلك لخدمة الحاضر والمستقبل "اللحظة التاريخية المسترجعة هي نوع من الالتقاط والبناء لتشكيل حوارية شعرية بين الأنا والأخر (...) لأن النص الملحمي يتجاوز منطق التسلسل السردي للتاريخ كما يتجاوز منطق الأشياء ". حيث يستحضر الرمز القديم ويوظفه توظيفا يخدم به اللحظة وينفض الغبار على القصة الأولى ببعثها وذلك لرموزها وشخصياتها.

ومع كثرة الاستعمالات يكتسب الرمز صدى أكبر ليحتضن بذلك النطاقين العالمي والإنساني كما هو الحال للرموز اليونانية.

"قد يتكئ على الأعلام التي كان لها صدى عميق في التاريخ أو الأدب (...) أو يعمد الأديب إلى شخصيات لها مواقف معينة ومعروفة"

**الرمز الديني:**

كان الإنسان القديم أكثر انفتاحا على المقدس وأعمق مشاركة ولهذا زخرت أساطير بالرموز الدينية الكثيرة، وذلك بحثا على تفسيرات كونية كذلك حول المصير والمجهول وغير ذلك." فقد كانت تلك الرموز الدينية الإسلامية تشبع الإنسان وترضي رغبته في المعرفة بما قدمت من تصورات لنشأة الكون وتفسير سحري لظواهره المتنوعة"[1].

فهذه الرموز لا تكتفي فقط بالكشف عن الحقائق بكل أبعادها بل تجعل الوجود الإنساني ذا معنى يسعى دائما في البحث عن الحلول.

ولو عدنا إلى الدين الإسلامي والقرآن الكريم لوجدنا أنّ كل مسلم يستشهد بآياته و ذلك لتفسير ما خفيّ عنه و هذا الفعل يحفز النفس على إحياء الرمز القرآني و إسقاطه في مقتضى الحالة.

[1]–جودة ناصر عاطف : الرمز الشعر عند الصوفية ،ص35

كما أنّ القرآن معين ضخم من الرموز "و إذا ما درس القرآن لذاته ترى معناه واضحا محددًا، يفهم من قراءته الجوهرية الظاهرة وتراه خفيّا غامضا(متشابها) متعدد المعاني وهذا ما يجعله بالنسبة إلينا معيناً من الرموز لا ينضب "[1].

وكل ديانة من الديانات تنفرد برموزها الخاصة، فمثلا في المسيحية نجد مريم العذراء وكذلك السيّد المسيح رمز للتكفير.

## الرمز والأسطورة:

تمثل الأسطورة عالما ساذجا، بريئا، يقبله الناس و يلتفون بها في كل زمان و في كل مكان.

تعريفات الأسطورة كثيرة نوردها في فصول قادمة. "الأسطورة هي حكاية قديمة ذات مضمون ينشق عن طمعاني ذات صلة بالكون والوجود وحياة الناس "[2] أي متعلقة دائما بالحياة والوجود بشكلٍ عام.

تستخدم الأسطورة اللغة الرمزية مفعمة بالأسرار حيث يمكننا من خلاله التعرف على عالم الأسطورة الزاخرة بالرموز وذلك للوصول إلى قضايا البشر التي تجلت في قالب الرمز.كما يجب المتتبع لهذه الظاهرة "أنّ استخدام الشعراء للرموز الأساطير دار في محاور أبرزها "التوسل المباشر بالرمز" ونعنى به الارتكاز على ما في الرمز القديم من قيّم شعورية مختلفة ودلالات متنوعة اكتسبها عبر التطور التاريخي"[3]. أي يكتسب الرمز قيمته ومدلوليته عبر الزمن وكيفية استخدامه . ويمكننا التعامل مع الرموز والأساطير باستلهام المغزى "دون التصريح مباشرةً بالرمز أو الأسطورة، ففي هذه الحال لا يظهر الرمز أو الأسطورة ظهورا مباشرا وإنّما يختفيان وراء الدلالات المتنوعة التي يراها

---

[1]–آسيا متلف :اشتغال الرمز الديني ضمن إسلامية النص ، رواية بياض اليقين لعميش عبد القادر نموذجا ، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي ، كلية الآداب و اللغات ، قسم اللغة العربية و آدابها ،جامعة حسيبة بن بوعلي شلف سنة 2007 ،ص ،70

[2]–فراس سواح :الأسطورة و المعنى دراسات في الميثولوجيا و الديانات المشرقية ، دار علاء الدين ،دمشق1997،ص112.

[3]–ابراهيم الحاوي : حركة النقد الحديث و المعاصر في الشعر العربي ،مؤسسة الرسالة ،بيروت لبنان ،1984 ،ص 183.

الشاعر (...) وفي هذه الحالة ينحل الرمز القديم إلى واقعه، إنسانية عامة ذات مغزى رمزي".[1] أي من خلال النص يمكن للقارئ أن يستخرج الرمز ولكن بالبحث في خفايا الدلالات وما بين السطور.

## خصائص الرمز:

إذا ما عدنا إلى خصائص الرمز التي يمكن استنباطها من مجموع المفاهيم المختلفة له نجد:

### أولا – الغموض:

إنّ الغموض الذي نحن بصدد دراسته لا يعني مطلقا الإبهام والتعقيد، بل الغموض كونه خاصية أساسية في الفن و هو بذلك "ليس نقيضا للبساطة، و إنّ الشعر البسيط الذي يهزنا هو في الوقت نفسه عميق (...)لان البساطة العميقة و الغموض كلاهما شديد المساس بجوهر الشعر الأصيل"[2].

كما يرى ابن الأثير في هذا فيقول:"افخر الشعر ما غمّض فهو لا يعطيك غرضه إلا بعد مماطلة "[3] . وهو بذلك يجعل الرمز قابل للاكتشاف و الانزياح كذلك . وليس غرض الغموض تحويل النص إلى لغز كبير لا يفهم من طرف كاتبه بل لتتكون في الرمز ملامحه الجمالية.

### ثانيا –الإيحاء:

الرمز "بالنسبة للشاعر محاولة للتعبير، ولكنه بالنسبة للمتلقي مصدر إيحاء"[4]، فالرمز غير قابل للاستنفاذ، وقراءته من زوايا مختلفة. وهنا توجب أن يكون المتلقي مبدعا يمتلك القدرة على الفهم.وخاصية الإيحاء إن يكون الرمز مفتوحا على دلالات متباينة تتعدد فيها القراءات والتأويلات.

### ثالثا –السياقية:

وفي ذلك ندرج "سمي شيئا باسمه، يحذف ثلاث أرباع شاعريته"

---

[1]– المصدر نفسه ،ص186.

[2]–عز الدين اسماعيل : التفسير النفسي للأدب، مكتبة غريب، ط4 ، بيروت لبنان ،1981،ص193 .

[3]–ابن الاثير :المثل السائر ، تحقيق :أحمد الحوفي ،بدوي طبانة ، دار النهضة ،جزء04،مصر القاهرة ،ص07.

[4]–محمد فتوح :الرمز و الرمزية في الشعر العربي المعاصر ، دار المعارف ، القاهرة مصر ،ص140.

والغموض لا يكون في الرمز في حدّ ذاته، كون الألفاظ لا تكتسب دلالاتها إلا بتفاعلها ضمن سياق محدد ومن هنا اكتسب الرمز خاصيته السياقية بل إن الرمز هو "ابن السياق وأبوه"[1]. ولذلك يكون سببا مبشرا أو عاملا متحكما في نجاحه أو إخفاقه وبهذا يتحدد الرمز ويختلف باختلاف السياقات التي يرد فيها فهو يخلق له بذلك فضاءه الدلالي.

## رابعا –الاتساع:

وهو اللفظ الذي يسع فيه التأويل وينطبق أيضا على التعبير الرمزي " وهو كلام تتسع تأويلاته فتتفاوت العقول فيها لكثرة احتمالاتها"[2]. وهنا يتسم الرمز بالتراكم والازدحام الدلالي والمعاني كذلك.

ولو نترصد خصائص الرمز من المنظور الانتربولوجي لوجدنا خصائص مخالفة ومختلفة بما أوردناه سابقا،يذكرها بسام الجمل في كتابه" من الرمز إلى الرمز الديني"[3].

1– التلبس بالوجود الإنساني.

2–قابلية الرموز للتّحيين أو "المكون الرمزي" أي العلاقة بين الرامز والمرموز إليه.

3–للرمز معقوليته الخاصة ومنطقه المميّز له.

4–خضوع الرمز لمبدأ التصنيف.

5–قبلية الرموز للتأويل .

---

[1]–ابراهيم رماني : الغموض في الشعر العربي الحديث ،ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية ،1991،ص274 .

[2]–بهاء الدين السبكي :عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح ج04،القاهرة ،مصر،1937 ،ص،469

[3]–انظر بسام الجمد : من الرمز الى الرمز الديني (بحث في المعنى و الوظائف و المقاربات)مطبعة التسفير الفني بسفاقس ط1 ،جانفي2007 ص ،23الى26.

# الفصل الأول

## ماهية الأسطورة

## 1-تعريف الأسطورة:

اختلف العلماء اختلفوا في تحديد مفهوم محدد وشامل للأسطورة، رغم محاولاتهم الجبارة، في توحيد معنى واحد لكن تعريفها لم يتضح بعد، ويعود ذلك إلى البنية النطولوجية المعقدة, وانفتاحها على العديد من الأنساق المعرفية، والتصاقها بجوهر الإنسان وروحه وهنا فإننا نحاول الكشف عن دلالة من دلالتها أو صفة من صفاتها .

### أ-مفهوم اللغوي:

كلمة أسطورة في اللغة العربية مأخوذة من "سطر" وهذا ما اتفقت عليه مختلف المعاجم اللغة العربية القديمة حيثاستطاعت الوقوف على الجذر اللغوي للكلمة.

وقد نجد أن كلمة الأسطورة عند الفيروزبادي مشتقة من " السَطْرُ: ألصق من الشيء كالكتاب والشجر وغيره جمعه أَسْطْرٌ وسطور وأسطا رجج.

أساطير والخط والكتابة واستطرده كتبه والأساطير الأحاديث لا نظام لها جمع اسطار واسطير بكسرهما .... و سطُر تسطيرا أَلَف علينا أتانا بالأساطير والمسيطر الرقيب.....[1]

أما كتاب المنجد في اللغة العربية لا يختلف كثير عن تعريف السابق لأنه يرى أن سَطر سطرًا كتب ( أرامية , سطُر كتابا , رسالة , سَطُرَ "جمعه" سُطُورٌ و أسطر , خط مستقيم على الورق , خَطَ سَطَرَ مجموعة كلمات مكتوبة أو مطبوعة يتبع بعضها في صف واحد (أرامية) ..... أساطير,أباطيل أحاديث عجيبة "[2]

ورد في لسان العرب عن كلمة أسطورة في مادة سَطَرَ " سَطَرَ: السَطر , و السَطرُ : الصف من الكتاب والشجر والنحل ونحوهما والجمع من ذلك أَسْطُرَ أَسْطَارَ و أساطيرٌ ... و السَطْرُ : الخط و الكتابة "[3] كما يرى أبن منظور أن " الأساطير الأباطيل : والأساطير : أحاديث لا نظام لها ، واحدتها اسْطارٌ.

و اسْطارةً بالكسر، و أُسْطِيرُ و أَسْطِيرةُ و أسْطُور و أسطورة بالضم , و قال قوم : أساطير جمع أسْطَار15 وأَسْطَارْ "ج" سَطْرَ وقال أبو عبيدة : جمع سَطْرَ على أسْطُرَ ثم جمع أَسْطُرٌ على أساطيرُ وسطرها : أَلفها

[1]– مجد الدين بن يعقوب الفيروزبادي: القاموس المحيط، ج 2،دار الجيل , بيروت , لبنان , د ط , د ت ،ص 49

[2]– عبد النور جبور، المنجد في اللغة العربية، دار المشرق،ط 2, بيروت , لبنان , 2000 , ص 667 – 668

[3]– ابن منظور: لسان العرب, دار صادر بيروت 1992, ص 362

: سَطُرَ علينا : أتانا بالأساطير : الليث : يقال سطر فلان علينا يُسَطرُ اذا جاء بأحاديث تشبه الباطل ..... ويقال سَطُرَ فلان على فلان إذا زخرف له الأقاويل ونمقها وتلك الأقاويل الأساطيرُ والسُطُّرُ "[1]

ومن كل قيل فان الأسطورة هي هذيان من القول، وصنع من الخيال و تمسكا بالا واقع

أما كلمة أسطورة في القران الكريم نجدها قد ذكرت بصيغة الجمع في تسع مواضع فيقول الله تعالى في محكم التنزيل: " وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا حَتَّى إِذَا جَاؤُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ"[2]

كما جاء في الذكر الحكيم " إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ "[3].

فنجد في الآيتان السابقتان أن كلمة أساطير مقترنة بكلمة الأولين، وكلها جاءت على لسان الكفار وجعل كلام الله أوالإسلام مجرد أساطير الأولين، لعدم قدرتهم على رد الحجة بالحجة أو هي سوء الأدب مع القرآن حيث تتجلى عليه الأساطير الأولين، ولما يحتويه من قصص الأولين والأمم السالفة التي أراد القرآن الكريم أن يبين سنة الله في عباده.[4]

وعليه فجعل تفسيرات الأسطورة تذهب إلى أنها عبارة عن أباطير أو هي كلام لا يراد به الحقيقة وبعيدة عن الواقع، وهو نتاج الخيال مستند إلى الأمور الغيبية حيث عجز العقل عن فهمها.

أما بالنسبة لتعريف اللغوي الأسطورة عند الغرب مشتقة من كلمة MYTHOS التي تعني عند الإغريق قصة أو حديثا شفهيا متناقلا من شخص إلىأخر.[5]

يذهب جون لوفيت أن كلمة MYTH انتقلت إلى اللغات الأوروبية المعاصرة حيث ظهرت في اللغة الفرنسية سنة 1403، وفي الانجليزية حوالي 1462، ولم يتأكد هذا المصطلح في اللغة الفرنسية

---

[1]– ابن منظور: لسان العرب, ص 363, 364.

[2]– سورة الأنعام، الآية 25.

[3]– سورة المطففين، الآية 13.

[4]– سيد قطب: في ظلال القران, ج 6, دار الشروق, طبعة 9، مصر 1980 ص 157.

[5] –G.A . Colman, The dictionary of mythology, A.N.Z the Emes , legends and hero- ARTURUS. Publishing – limited, England 2007, P7.

إلا في عام 1830 وفي اللغة الانجليزية إلا خلال سنة 1838.[1]

اختلف الباحثون عن أصل هذه الكلمة إن كان عربيا أوغربيا، فرأى البعض أن كلمة أسطورة غربية بالأساس ترجع إلى العصر اليوناني، فنجد في كتاب (غرائب اللغة العربية) للأب رفائيل نخلة من الكلمات الدخيلة في اللغة العربية نجد منها كلمة أسطورة التي صنفها ضمن الكلمات المقتبسة من اليونانية[2].

أما الخليل أحمد الخليل فيرى أن كلمة أسطورة من الكلمات الدخيلة في اللغة العربية، لكنها لم تعرب بلفظها وإنما بلفظ قريب منها. فذهب إلى أن كلمة أسطورة قرينة الصلة بمثيلتها باليونانية HISTORIA ولا يستبعد من أنها مشتقة من هذا المصطلح حرفيا، يقول كلمة " أسطورة " الغربية مقتبسة من كلمة أسطوريا HISTORIA اليونانية و تعني الحكاية أو القصة[3].

لكن خالفهم نقاد آخرين الذين، أكدوا أن كلمة أسطورة ذات الجذر العربي كما أن وزنها موجود في اللغة العربية (فجذرها من الفعل الثلاثي – سطر – و وزنها على وزن افعولة, وأن القول بأصلها الغربي إنما هو من باب تخلفنا، و فرض أراء الغربيين على تراثنا وتاريخنا لأن الأساطير انبثقت من المنطقة العربية و عبرت إلى شبه الجزيرة الفينيقية مع حركة الفينيقيين القدامى[4].

لكن بالرغم ما ذهب إليه الباحثين عن أصل كلمة أسطورة فستبقى مجرد اجتهاد شخصي

وضرب من التخمين لانعدام الشاهد ولغياب السند.

وفي الأخير نرى أن تتبعنا لدلالة اللغوية لكلمة أسطورة في اللغة العربية والغربية، ومعرفتنا الاختلاف الكبير بين التعريفين العربي والغربي. نتوصل أن التعريف الأول سلبيا باعتباره يأخذ معناه

---

[1]- GOHN LEAVIT : Préentationnlemyth aujourd'hui abthropoligie et société, vol 29, n02 , 2005 www.crudit.org, p07

[2]– مصطفى أوشاطر, الأسطورة في التراث الشعبي ,رسالة ودكتوراه في الأدب الشعبي , جامعة أبي بكر بلقايد, الجزائر 2003 – 2004 , ص 60.

[3]– المرجع نفسه، ص60.

[4]– مجموعة باحثين:الأسطورة توثيق حضاري, جمعية التجديد الثقافية و الاجتماعية , قسم الدراسات و البحوث سلسلة عندما نطق السراة , ط 1, مملكة البحرين 2005، , ص 14–17.

من الدين، بينما التعريف الغربي للأسطورة أخذها من الناحية الايجابية، وحتى يتضح لنا الفهم السليم للأسطورة بجدر بنا المرور إلى التعريف الاصطلاحي.

**ب-مفهوم الاصطلاحي :**

تعددت التعاريف وتنوعت عند الباحثين، إذ يحاول كل واحد منهم تعريفها حسب الحقل الذي يشتغل فيه مما جعل إعطاء تعريف جامع شامل من الصعب الوصول إليه ليرضي جميع الباحثين.

"يعرفها سينسر بأنها انبثاق عن الظواهر الطبيعية عندما ربط بين الأطروحة الأسطورة الدينية ووضعية الشمس والقمر[1]".

حيث عاد إلى الأصل وطبيعة الأولى للدين وهي مجمل الظواهر الطبيعية، خاصة الشمس والقمر، حين حاول الإنسان القديم أن يقدم تفسيرات حول طبيعة أوضاع المختلفة لهذه الظواهر، بحيث كانت طقوسه تقوم وفق حركات الطبيعة كالشروق والغروب عندما ربطها الإنسان بتجاربه المختلفة لتتشكل بموجبها الأسطورة، الدين الإنسان الأول.

ونجد أن محمد المعيد خان لم يختلف كثيرا عن سينيسر بل وسع المعنى، واعتبر أن الأسطورة"عبارة عن تفسير علاقة الإنسان بالكائنات، وهذا التفسير هو أراء الإنسان حول ما يشاهد حوله في حالة البداوة. فالأسطورة مصدر أفكار الأولين[2]"فهذه الأفكار هي من المخيلة الشعبية لتلك الأمة.

كما فسر بشير زهدي الأسطورة بأنها "تشير إلى بداية العلوم والفنون والأديان، فقال لقد قدمت الأسطورة أقدم الأفكار والقصص والأحكام التي تدل على تطلعات الذكاء الإنساني وعطاءاته عبر العصور التاريخية، وأولى محاولاته الفكرية في فهم القوانين والمأثورات[3]."

---

[1]–FRNEST CASSIRER : Language and myth , publication.inc Newyork – USA 946 . P3.

[2]– محمد عبد لمعيد خان, الأساطير و الخرافات عن العرب, دار الحداثة, الطبعة الثالثة، بيروت, لبنان 1981, ص 20.

[3]– بشير زهدي , مقدمة في الميتولوجيا– مجلة المعرفة العدد 197 , عدد خاص الأسطورة و الفكر الأسطوري ، وزارة الثقافة و الارشاد القومي ، سوريا 1978، ص 19.

من خلال كل ما قيل فإننا نرى أن أراء وتعريفات كل الباحثين، انحصرت في زاوية تفسير بداية تفكير الإنسان القديم، ومحاولاته تفسير ما حوله مهما كان مجاله مهملين الزوايا الأخرى في الأسطورة.

نجد ماكس موللر "أخد منهج فقه اللغة التحليلي لدراسة الأسطورة فلم يستعمل هذا المنهج لإظهار المتفق عليها أسطوريا بل يتعدى ذلك إلى دراسة سياق قرينة الكلام من خلال دراسته لمحتوى ديانة الفيدا[1]."

ويربط بين اللغة والأسطورة ويعدها جزءا صميما خرجت منه لغة الرمزية، والتي اعتبرها أصل كل الأشياء ومنبع جميع الفنون فلولا اللغة ورمزيتها ما وجدت الأسطورة، ويجعل ماكس موللر من الأسطورة عملية تابعة للغة، وهذه الأخيرة منحت جانبها التواصلي للأسطورة، ويستنتج ذلك من خلال دراسته لديانة الفيدا.

ولايكاد يختلف عنه كثيرا كاسيرر الذي اعتبر الأسطورة عبارة عن" طقس يعبر من خلاله الإنسان عن نفسه ونظرته للكون باستعمال اللغة التي هي أصل كل طقس أو تعبير أسطوري فيقول عن اللغة عنده أنها انبثاق لأصل كل طقس ديني، فمن خلال رمزيتها وأسلوبها الاستثنائي يخلق الفن والأسطورة[2]"

كما نجد ويليام ويميزات يعرف الأسطورة على أنها "نوع من اللغة الشعرية التي كان الإنسان يستعملها في تطوره البدائي، ولهذه اللغة مبدؤها البنيوي ومنطقها الخاص[3]"

---

[1]- FRNEST CASSIRER : Language and myth , publication.inc Newyork – USA 1946 . P3

**نقلا عن**

MAX MULLER : The Philosofy of mythology appended toitroduction to the science of religion, England 1873 , p353

[2]– المرجع نفسه، ص10

[3]– ويليام ويمنزات , الأسطورة والنموذج البدائي , ترجمة محي الدين صبحي مجلة الأقلام العدد 8 العراق , أيار 1976 ص 33

ويؤكد هذا الأخير يؤكد أراء سابقيه عندما يجعل اللغة إطار عاما تتموضع فيه الأسطورة باعتبار اللغة تقوم على مبدأ الإدهاش والعجائبية وهم ما أفادت منه الأسطورة في تمثيلها لهذه الخاصية.

و تأمل كل هذه الآراء وتعريفات يدرك الفرد أن هؤلاء الباحثين ينظرون إلى الأسطورة نظرة لغوية تقف على السطح لا على العمق وتنظر إلى الدال لا إلى المدلول , باعتبارها أهملت الأسطورة واهتمت للغة، وتخلت عن خصائص الأسطورة ووظائفها، وأهم ما يميزها ويفرقها عن باقي القرائن والسياقات اللغوية، وهو جانبها المقدس الذي أهمل في البداية حتى عند الباحثين الذين عرفوا الأسطورة خارج الحقل اللغوي, فعرفوها على أنها قصة سردية تتحدث عن تاريخ الآلهة وتاريخ الأبطال والأجداد فهي مزودة بجانب خيالي مرتبط بانفعالات والعواطف الإنسانية.

فيعرفها عبد الملك مرتاض على انها مزيج من كل شيء في كل شيء فهي حكاية خالصة وهي حكاية مستوحاة من حوادث التاريخ وهي قصة سردية، وهي تاريخ الالهة، وهي تاريخ الابطال وتاريخ الاجداد...[1]

لكن الباحثتين المعاصرين رأو أن من السخف أن ننظر إلى الأسطورة أنها مجرد خرافة تروى للتسلية، فتعمق الكثير في دراستها ونجد منهم فراس السواح الذي عرفها بأنها "حكاية مقدسة ذات مضمون عميق يشق عن المعاني ذات الصلة بالكون والوجود وحياة الإنسان[2]" وأن تأملنا قليلا في التعريف نجد أن الباحث تفطن إلى أن الأسطورة ليست مجرد حكاية وفقط بل هي حكاية مقدسة، لها معنى عميق في حد ذاتها، وما يظهر أهميتها أنها ذات اعتقاد كامل من طرف المؤمنين بها، لها طقوس دينية تحيا في مناسبات معينة.

[1]– عبد المالك مرتاض,الميتولوجيا عند العرب, دراسة لمجموعة من الأساطير و المعتقدات العربية القديمة , مكتبة الوطنية للكتاب الجزائر 1989 ص 13.

[2]– فراح السواح , الأسطورة والمعنى, دار علاء الدين للنشر، الطبعة 1 ، دمشق سوريا ،1997 , ص 14.

أما ميرسيا إلياد فكان أكثر وضوحا في هذا الجانب حينما عرف الأسطورة" بأنها تروي تاريخا مقدسا، تروي حدثا جرى في زمن البدائي زمن الخيال ... باختصار تصف الأساطير مختلف أوجه تفجر القدسي الخارق في هذا العالم[1]"

ونستخلص من تعريف ميرسيا إلياد أن الأسطورة عبارة عن قصة رمزية تحكي تاريخ الإنسانية منذ زمن البدايات الأولى زمن الخيال تختلف عن سواها من الحكايات أنها تمتاز بالقداسة.

لكن ما يلاحظ من التعريفان السابقين هو ربط الأسطورة بما هو خارجي أي العالم، والكون بينما الأسطورة هي سؤال داخلي نفسي يربط النفس البشرية وطبيعتها القلقة.

وأظهر صامويل نوح كريمر الجانب النفسي في الأسطورة في قوله" هي كشف وإنارة الفعل الباطن

الجماعي للإنسان[2]"

أما سيد القمني يرى أن الأسطورة"هي تسجيل للوعي الإنساني واللاوعي في آن واحد[3]"

ومن خلال التعريفين نستنتج أن الأسطورة لها طابع نفسي فهي تلد معنا وتتحكم فينا وتساعدنا على الاستقرار النفسي وهو ما نادت به المدرسة النفسية.

لكن في عالمنا المعاصر تعدت الأسطورة كل هذه الجوانب التقليدية إلى جوانب أكثر خطورة فنرى الكثير من الدول استمدت شرعيتها من مرجعية الأسطورية، فيعرفها بارث رولان على أنها"عبارة عن شكل وهذا الشكل يختزن في ذاته نظام الاتصال ما يجعل الأسطورة عبارة عن رسالة، تمتلئ بدلالات التاريخية والاجتماعية[4]"

ونفهم من التعريف أن الأسطورة نظام سيميولوجي ينفتح على كل الدلالات اللامتناهية سواء كانت تاريخية أو اجتماعية أو نفسية مختلفة، فهي شكل يختزل العالم بينما يخالف لوسيف اليكسي

---

[1]– ميرسيا إلياد : مظاهر الأسطورة، ترجمة نهاد خياطة, دار كنعان للدراسات و النشر، , الطبعة 1، سوريا 1991 ص70.

[2]– صامويل نوح كريمر: أساطير العالم القديم، ترجمة احمد عبد الحميد يونس، الهيئة المصرية العامة للكتاب مصر، 1974، ص 11.

[3]– سيد القمني: الأسطورة و التراث ،المركز المصري للبحوث و الحضارة، الطبعة 3، مصر ،1999 ص 25.

[4]– بارث رولان: أساطير، ترجمة سيد عبد الخالق، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة مصر،1995 ص 33.

الجميع حينما يعتبر الجميع يعتبر الأسطورة مفهوما مثاليا , ولا فكرة أو مفهوم, فالأسطورة هي الحياة ذاتها ...الأسطورة ليست وجودا مثاليا, وإنما الواقع المعيش المادي الملموس[1]

و يقدم مثال لتبرير صحة تعريفه بميكانيك نيوتن المبني على فرضية المكان اللامتناهي, وهنا يود أن يقول أن العلم يولد من الميثولوجيا ويهدم الأفكار القديمة، استخدام التعاليم الفيزيائية ورياضية وتصورات حول العالم فهو يعطي تصوره لخلق العالم فالأسطورةإذا تتكون وتظهر بشكل جديد , في عالم جديد عالم التكنولوجيا يدعي العلمية التي هي عقدية هذا العصر مقدسة في العالم المعاصر

مما سبق فإننا نستطيع أن نقول أنالأسطورة حافظت على حصانتها ضد أي غزو لغوي أو اصطلاحي لعل ذلك ما جعل القديس أوغسطين يقول عندما سئل:"إني اعرف جيدا ماهي بشرط أن لا يسألني احد عنها ,إنما سئلت و أوردت الجواب , فسوف يعتريني التكلؤ[2]"

## 2. خصائص الأسطورة:

تعد خصائص الأسطورة إحدى سمات التي تمييز ظاهرة علمية عن غيرها من الظواهر العلمية وأمام التداخل الكبير وبين الأسطورة عن غيره من الأشكال الأدبية الشعبية الأخرى ,لا بد من معرفة خصائص الأسطورة، وصفاتها الأساسية التي تقف حجر زاوية للمحافظة على استقرار الأسطورة وثباتها وبيان الفرق بينها وبين الأجناس الأدبية الشعبية الأخرى.

جاء فرح السواح أحد الباحثين الذي وضع معايير عديدة لتميز بين النص الأسطوري عن غيره من النصوص الأخرى، ولهذا التميز الذي سوف يضع حدا التعميمات الخاطئة ويجنب الخلط بين هذه الأسطورة ومختلف الآداب الشعبية لهذا ضبط الإشكالية وهو ما يمكن أن نلخصه في النقاط التالية:

1_ من حيث الشكل: الأسطورة هي قصة، تحكمها مبادئ السرد القصصي لها حبكة وعقدة وشخصيات والى ما ذلك تصاغ في معظم الأحيان في قالب شعري يساعد على حفظها وترتيلها.

2-يتشابه النص الأسطوري بالرغم من الأزمان الغابرة في التاريخ، إذ ينتقل عبر الأجيال ,وذلك راجع تأثيره في الجماعة وتناقله عبر الأجيال.

---

[1]- الكسي لوسيف : فلسفة الأسطورة، ترجمة منذر بدر حلوم، دار الحوار للنشر، الطبعة 1،2000 ،ص 51.

[2]- ك . ك راثنقين: الأسطورة، ترجمة جعفر صادق الخليلي، منشورات عويدات( سلسلة زدني علما ) الطبعة 1، لبنان 1981 . ص9

3 –ليس للأسطورة كاتب معين, فهي من إبداع المخيلة الجماعية.

4–الأدوار الرئيسية في الأسطورة هي للآلهة و أنصاف الآلهة, أما دور الإنسان فهو مكمل.

5– تتميز موضوعات الأسطورة بالجدية والشمولية منها التكوين, والأصول والحياة والموت.

6 تجري أحداث الأسطورة في الزمن المقدس الموغل في القدم و ليس في الزمن الحالي.

7 الأسطورة مرتبطة بنظام ديني معين, هدفها توضيحه، وتطبيق طقوسه.

8 تتمتع الأسطورة بقدسية وسلطة عظيمة على عقول الناس ونفوسهم أيضا, تضاهي سلطة العلم في العصر الحديث[1]

و أخيرا ما يميز الأسطورة ويعطيها الحياة لا متناهية الأبدية، هو ارتباطها بجوهر الإنسان وممارسة اليومية وطابعها المقدس.

**3. الفرق بين الأسطورة وأشكال التراث الشعبي :**

وجب علينا التداخل بين الأسطورة ومختلف الأشكال الآداب الشعبية الأخرى، واستخراج أهم الفرق بين الأسطورة والخرافة والحكاية الشعبية .

ونجد من بين الباحثين الغربيين الذين اهتموا بالتفريق بين الأسطورة والخرافة والحكاية الشعبية الباحثة الأمريكية روث فينجان في كتابها المعنونOraltradition and the verble arts[2]

الذي أورد فيه جدول بسيط لفهم كل هذه الفروق.

لكن سوف نتصرف في الجدول ليكون واضحا جدا، ويشمل جميع الفنون والآداب الشعبية الأخرى.

[1]– فرس السواح :الأسطورة والمعنى، دار علاء الدين لنشر، ط01،دمشق سوريا،1997،ص17.

[2]– إبراهيم عبد الحافظ: دراسات في الأدب الشعبي، مكتبة الدراسات الشعبية، الهيئة العامة للقصور الثقافة، القاهرة مصر ص 123.

| الشكل الأدبي | الاعتقاد | الزمان | المكان | التوجه | الشخصيات الأبطال |
|---|---|---|---|---|---|
| الاسطورة | حقيقة لا شك فيها | موغل في القدم | عالم مختلف و مبتكر | مقدس | آلهة أنصاف آلهة |
| الخرافة | حقيقة يجوبها شك | مزج بين الماضي والحاضر | عالم اليوم | ليس للخرافة علاقة بالدين[1] | بشرية و جنية |
| الحكاية الشعبية | خيال | في كل وقت | كل مكان | دنيوي | بشرية اللابشرية |

وكخلاصة لما هو في الجدول فان ما يميز الأسطورة عن غيرها من الأجناس الأدبية هو جانبها المقدس وارتباطها بالدين.

[1]– خزعل الماجدي: البخور الآلهة ،الأهلية للنشر و التوزيع، الطبعة الأولى، الأردن،1998، ص 59.

عكس الخرافة التي لا علاقة لها بالقداسة، بل هي قصة خيالية مبالغ فيها لا وجود للآلهة فيها وهو نفس ما نجده عند الحكاية الشعبية التي تستمد شخصياتها من الواقع التي تحاول بها محاكاة أمال الشعوب وتطلعاتهم بعيدا عن القداسة

**04-أنواع الأساطير وتصنيفها:**

كما وقع اختلاف بين مختلف الباحثين عن وضع تعريف جامع للأسطورة، فإننا نجدهم كذلك اختلفوا في تحديد أنواعها، ويعود السبب في ذلك إلى تعددها وكثرة حدودها وشساعتها التي لا يمكن حصرها ولتصنيف هذه الأساطير إلى أنواع، نجد أن كل باحث أخذ معيار خاص به، فنجد منهم من أخذ معيار الوظائف وأعتمد عليه في تصنيفه،ونجد منهم صموئيل هنري هووك الذي صنف الأساطير إلى خمسة أنماط وهي:"أسطورة الطقس، أسطورة الأصل، أسطورة العبادة، وأسطورة الصيت أسطورة البعث[1]"

لكن هذا التصنيف لقي الكثير من النقد حيث يرى أنه يضع حدودا، ويقسم بين صنف واحد بين الأساطير وهنا يقول عبد الباسط سيد في ذلك "أنه يضع حدودا بين طائفتين من الأساطير، يمكن وضعهما في إطار واحد فالأسطورة هي امتداد طبيعي لأسطورة الطقس .... من جهة أخرى تلتقي أسطورة الصيت مع أسطورة الأصل وتندمج معها أما أسطورة البعث فهي تدخل في أسطورة الطقس[2]"

و هذا ما تداركه الباحث صاموئيل هنري في كتابه ديانة بابل و أشور حيث اعترف بوجود نوعين هما الأساطير الطقسية وأساطير الأصول.

وفق الباحثون الذين يشتغلون في قسم الدراسات والبحوث في جمعية التجديد الثقافية والاجتماعية الأساطير على نفس المقياس السابق فوصلوا إلى أربعة أنواع هي:

---

[1]– صمويل هنري هوك : منعطف المخيلة البشرية , بحث في الأساطير , ترجمة صبحي حديدي, دار الحوار, طبعة 1 اللاذقية سوريا 1983 ص 9

[2]– عبد الباسط سيدا: من الوعي الأسطوري إلى بداية التفكير الفلسفي النظري بلاد الرافدين تحديدا, دار الحصانة للنشر والتوزيع, طبعة 1، دمشق، 1995، ص 76.

"الأساطير التعليمية ,الأساطير الوعظية, الأساطير العلمية, الأساطير الأبطال[1]"

ولعل ما نلاحظه في بحثهم هو عدم الدقة حيث أن الأساطير التعليمية والأساطير الوضعية يمكن تصنيفها في نوع واحد لعدم وجود فرق كبير بين التعليم والوعظ, وهنا يمكن القول أن الاعتماد على معيار الوظيفة كمعيار أساسي لتصنيف الأسطورة هو معيار قاصر, ويعود السبب إلى إمكانية تصنيف الأسطورة الواحدة في عدة وظائف .

أما الباحثون الآخرون كنبيلة إبراهيم فصنفت الأساطير بمراعاة الموضوع لكن موازاة مع التطور الفكري البشري أيأن التصنيف كان يراعي تطور الإنسان فهذا الأخير في تطور مستمر ووصلت إلى أن الأساطير اهتمت بالأجواء السماوية والظواهر الكونية أولا ثم الأساطير التي اهتمت بالعالم الأرضي وعالم الإنسان فصنفت" الأسطورة إلى الأسطورة الطقوسية, الأسطورة التكوين الأسطورة التعليلية،الأسطورة الرمزية، الأسطورة البطل الإله[2]"

أما الباحثون الآخرين فصنفوا الأساطير"على مقياس ما هو محلي من إبداع أبناء المجتمع لشعب من الشعوب، واكب مراحل التطور فتأثرت الأساطير بالزيادة أو النقصان،ليكون أقرب للبيئة الجديدة فسموها الأساطير الأصلية التي تكونت مع مجتمع ما واستمرت فيه لتمثل محاصيل الطبيعية لتفاعلاته الداخلية في مرحلة لم يكن للإبداع الذهني قد تجاوز مستوى الأسطورة[3]"

وما هو أجنبي على البيئة المحلية انتقل إليها من بيئة أخرى ومن شعب أخر، وهذا بسبب الاحتكاك الحاصل بين هذه الشعوب كالاختلاط الاقتصادي والسياسي، فسموها أساطير المهاجرة التي عرفها المرزوقي محمد بأنها "أساطير انتقلت من مجتمع إلى أخر تحت تأثير مجموعة من العوامل كعامل للجيرة والتبادل التجاري والسياسي على وجه الخصوص[4]"

وما ينبغي قوله في الأساطير الأصلية أولا، أنه من الصعب الوصول إلى استخلاص الأسطورة الأصلية للاتصالات والاحتكاكات الكثيرة بين الميثولوجيات الشعوب القديمة، فمثلا العرب احتكوا بالفرس ومصر واليونان والهند هذا من جهة ومن جهة أخرى، فالأساطير من الجهة لشفاهية

---

[1]– مجموعة من الباحثين الأسطورة توثيق حضاري، قسم الدراسات و البحوث في جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية, دار كيوان للنشر و التوزيع , طبعة 1 , دمشق سوريا ،2009 , ص 50 – 82

[2]– نبيلة إبراهيم: أشكال التعبير الشعبي ،دار النهضة لطبع ونشر، القاهرة مصر، ص 17 – 48.

[3]– الباسط سيدا: من الوعي الأسطوري إلى بداية التفكير الفلسفي النظري بلاد الرافدين تحديدا ،ص 72.

[4]– محمد المرزوقي : الأدب الشعبي، ص 17.

التي قد تتأثر بعوامل النسيان عند الإنسان لكن من الرغم من صعوبة البحث في الأصل إلى إن الباحثين وصلوا إلى الكشف وصول بعض الأساطير مثل أسطورة الطوفان في بلاد الرافدين.

أما عن الأساطير المهاجرة فنستند إلى قول سليمان مظهر فيقول الأساطير التي جاءت في اغلبها متشابهة متفقة تثير الحيرة والتساؤل عن علة التشابه أساطير المصريين مثلا مع أساطير الهنود والفرس والإغريق والاربيين أيضا هذا التساؤل يجب عنه بعض الدارسين بأن الجنس البشري كله قد نشأ في مكان واحد ثم تفرقت وارتحلت معه أساطيره ومعتقداته.

ويذهب آخرون"أن حياة الإنسان لم تظهر في مكان واحد بل في أمكنة متفرقة و لكن قام بين مختلف هذه الأوطان علاقات ثقافية هاجرت معها الأساطير ... ثم رأي ثالث يقول أن سبب التشابه هو تشابه الظروف وتطور التاريخ الإنساني عامة وانتقاله من حالات قامت في كل موطن إلى حالات قامت في هذا الموطن نفسه[1]"

هنا حاول الباحث "إظهار كيفية انتقال الأساطير بين الشعوب لكن لايمكن الجزم بهذه الآراء لأن لايمكن البرهان على أن كل البشرية وجدت في بداياتها في مكان واحد لغياب الأدلة وبراهين تاريخية.

كما أن الرأي الثاني يعترف بوجود علاقة ثقافية بين الشعوب تغافل أنأغلب العلاقات بين الأمم كانت تجارية أو حربية كما أننا قد نجد تشابه بين أساطير منطقتين لكن لا يمكن البرهان وجود العلاقات بينهما أماالرأي الثالث يسد الثغرة فهو يبين قي مثل هذا الموضع التشابه الأساطير[2]"

[1]– سليمان مظهر: أساطير من الشرق، دار الشروق القاهرة، مصر، 2000، ص 12.

[2]– الباسط سيدا: من الوعي الأسطوري إلى بداية التفكير الفلسفي النظري بلاد الرافدين تحديدا ،ص 74.

# الفصل الثاني

## رمز الماء في أسطورة أنزار

**تمهيد**

احتل الماء مكانة مميزة بين الشعوب القديمة والحديثة وقد ربطت هذه الشعوب بين الماء والحياة فاعتبرته القوة الدافعة للكون، به تبدأ الحياة وبه تنتهي وهو وسيلة لحفظ الحياة وذهابه يعني الزوال هو أساس الوجود وأساس العلاقة بين الكائن الحي والخالق وبدونه تنقطع الصلة ويختفي الازدهار والنعيم وتعم الهزائم والكوارث ويختفي الكون ونفس الشيء إذا كثر الماء وزاد عن اللازم.

لقد وظفت هذه الشعوب كلمة الماء في مختلف المجالات حتى أصبح رمزا مشحونا بعدة دلالات ومعاني وهنا نود في هذا الفصل البحث عن رمز الماء في مختلف المجلات أولا ثم نستخلص الدلالات التي تحملها ثم في الأخير سوف نتعمق بالبحث والدراسة عن رمز الماء وما يحمله من دلالات في أسطورة أنزار القبائلية.

**1- رمز الماء في الأديان:**

سنحاول إظهار دلالة لفظ الماء في الأديان السماوية والوضعية وإظهار ما تحمله من إيحاءات.

**أ. رمز الماء في الدين الإسلامي:**

بالعودة إلى القران الكريم نجد أن لفظة الماء قد ذكرت عدة مرات،وهنا ندرك انه أخذت عدة دلالات وإيحاءات لم تقتصر على المعنى الواحد.

**1. الماء أساس الخلق وسبب الحياة**

فالماء يرمز إلى الكثير من المواضيع في القران الكريم إلى انه أساس الخلق وسبب الحياة ومادة الخلق ونجد عدة دلالات لذلك فيقول الله تعالى :"أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ "[1]

تظهر هذه الآية تظهر أن الماء خلق قبل الأرض والسماء وهو أقدم شيء في الكون وهو أصل جميع الأشياء وسبب الحياة.

[1]- سورة الأنبياء،الآية 30.

ونجد الكثير من المفسرين وعلماء الدين يفسرون هذه الآية بأن الماء سبب الحياة وأصل كل الحياة ومنهم ابن كثير الذي يقول "وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون" أي أصل كل الأحياء.

ونستنتج من خلال ما ذكر نجد أن الآية تجاوزت الأشياء الحية فهي أصل خلق جميع الأشياء والمخلوقات سوءا كان له روح أو بدون روح أي كل ما يتصف بالنمو والحركة والإحساس والإدراك فهي لا تقتصر على ذوات الأرواح فقط بل تتعدى لتشمل الأرض، وما فيها من مخلوقات.

وبعد هذه الآية وما ذكر في القران سوف نحاول أن نظهر أن الماء هو أصل جميع الكائنات على الأرض و البداية تكون بالإنسان الأول خلق من ماء يقول تعالى:" وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاء بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا "[1]

فالمراد بالآية هو أن الماء الذي خمر به طينة آدم عليه السلام وجعله جزءا من مادة البشر لتجتمع وتتسلس و تستعد لقبول الأشكال و الهيئات[2]

أما بقية البشر فلا يختلفون عن أصلهم في الخلق من الماء فتكاثروا به وتناسلوا فيقول الله تعالى " أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاء مَّهِينٍ"[3]

" خُلِقَ مِن مَّاء دَافِقٍ"[4]

الماء في هذه الآيات هو النطفة أو السائل المنوي الناتج عن العملية الجنسية الحاصلة بين الرجل والمرأة الذي يلقح بيضة المرأة ينتج عنه خلق جديد.جميع البشر ناتج عن هذه العملية باستثناء آدم وحواء وعيسى عليهم السلام الذين خلقوا مختلفين عن بقية البشر.

وحتى الدواب والحيوانات مادتها هي الماء أو النطفة حين يلقح الذكر الأنثى، والحيوانات تتوالد من الأرض تتوالد من الرطوبات المائية كالحشرات فالمادة واحدة ولكن الخلق مختلف ومن وجوه كثيرة

---

[1]– سورة الفرقان، الآية 54

[2]– الألوسي :روح المعاني في تفسير القران العظيم ،الجزء 19، دار احياء التراث العربي، ص 35

3– سورة المرسلات،الاية20.

[4]– سورة طارق،الآية 6.

يقول تعالى " وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِن مَّاء فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاء إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ"[1]

**2. الماء رمز للطهارة في الإسلام:**

يتفق علماء الأمة على أن الطهارة من أهم مقومات الأمة المحمدية إذ بدون الطهارة لا تصلح معظم العبادات والشعائر الدينية التي يؤديها المسلم يوميا لكن لا تتحقق الطهارة بدون ماء فالماء، هو الذي يطهر الإنسان وندرك ذلك في قوله رسول الله صلى الله عليه وسلم " إذاتوضأ العبد المسلم أو المؤمن فغسل وجهه خرجت من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينيه مع الماء،أو مع أخر قطرة الماء أو نحو هذا وإذا غسل يديه خرجت من يديه كل خطيئة بطشتها يداه مع الماء أو مع آخر قطرة الماء حتى يخرج نقيا من الذنوب "[2]

وفي هذا الحديث الشريف ندرك أن الماء هو مطهر الإنسان من الذنوب التي اقترفتها جوارحه فمع كل قطرة ماء تنسل من جسمه عقب وضوئه أو غسله حاجز من الذنوب.

كما أن الله جعل من الماء طاهرا في نفسه ومطهرا لغيره، وهذا في قوله تعالى: "وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاء مَاء طَهُورًا"[3] وهنا ندرك أن كل المياه صالحة لطهارة كمياه المطر والثلج والبرد، ومياه البحار والأنهار والآبار وكل ما نبع من الأرض وهذا في قول رسول الله " هو الطهور ماؤه أكل ميتة"[4].

عندما سئل من طرف ركاب البحر هل يمكنكم التوضأ بمياه البحر لكن لا تصلح الطهارة بما أضيف إليه شيء أخر غير من خصائصه (طعمه، لونه، ورائحته) وهذا التغيير يخرجهمن إطلاق اسم الماء عليه.

كما أن الدين الإسلامي فرض الغسل لتطهير من إنزال الشهوة والجماع والاحتلام، وفي إنقطاع الحيض والنفاس، وتغسيل الميت ومن دخل في الإسلام، فعل من كان له إحدى موجباته أن يغتسل بالماء في جميع بدنه وهذا واجب وليس مخير.

---

1- سورة النور،الآية 45.

2- أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترميذي : سنن الترميذي كتاب الطهارة باب ما جاء في فصل الطهور رقم 2 دار الفكر للطباعة و النشر، بيروت لبنان، 2005 ،صفحة 12 .

3- سورة الفرقان،الآية 48.

4- أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترميذي : سنن الترميذي،ص 16.

كما أن هناك الغسل المسنون وذلك في الأعياد والجمعة، والإحرام للحج والعمرة, وذلك لماورد في صحيح البخاري : قال رسول الله عليه و سلم " اذا جاء أحدكم الى الجمعة فليغتسل "

كما أن كل من أفاق من الجنون أو السكر أوإغماء لما أخرجه المسلم في صحيحه عن عبيد الله بن عبد الله " دخلت على عائشة فقلت لها: ألا تحدثني عن مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قلت بلى, قال : النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أصلى الناس, قلنا, لا وهم ينتظرونك يا رسول الله, قال ضيعوا لي ماء في المخصب, ففعلنا فاغتسل, ثم ذهب لينوء فأغمي عليه ثم أفاق فقال أصلى الناس قلنا لا وهم ينتظرونك يا رسول الله فقال ضعو لي الماء في المخصب ففعلنا فاغتسل .... )

كما نجد إلى جانب الاغتسال, الوضوء الذي"هو استعمال الماء في أعضاء مخصوصة مفتتحا بنية[1]" وكما عرفه البهوتي هو استعمال الماء طهور في الأعضاء الأربعة مخصصة، فالوضوء "هو تطهير لبعض أطراف الجسد بواسطة الماء"[2] وهذا ما ندركه في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم"ما منكم من رجل يقرب وضوءه، فيمضمض ويستنشق فينثر إلا خرت خطايا وجهه من فيه وخياشيمه, ثم إذا غسل وجهه كما أمره الله إلا خرت وجهه من أطراف لحيته مع الماء, ثم يغسل يديه إلى المرفقين إلا خرت خطايا يديه من أنامله مع الماء،ثم يمسح رأسه إلى خرت خطايا شعره مع الماء، ثم يغسل رجليه إلى الكعبين إلا خرت وأثنى عليه، و مجد الذي هر له أهل, و فرع قلبه تعالى إلا انصرف من خطيئته كهيئته يوم ولدته أمه "

يتوضأ المسلم عندما يتبول أو تغوط أو إستمناء

ومن خلال كل ما قيل فان الماء أهم مطهر الإنسان المسلم،و له إرتباط وثيق بالدين باعتباره جاء بتشريع قراني، والهدف منه تحقيق الخلاص أو غفران الذنوب ومحوها.

**ب. رمز الماء في اليهودية والمسيحية:**

**1. الماء أصل الحياة:**

تتعرض في هذا الجزء إلى الماء في الدينين اليهودية والمسيحية، وما يرمز إليه في هذه الديانات سماوية في معتقداتها وطقوسها، ومن خلال ما اطلعنا عليه فان الماء يرمز إلى أنه أصل

[1]– الحسين الناصري، الحمام المقدس، مذكرة لنيل شهادة الماستر، جامعة مراكش، المغرب، 2015، ص 44.

[2]– الحسين الناصري، المرجع نفسه، ص 45.

الحياة وهذا ما نستخلصه في نظرة هذا الدين إلى كيفية نشأة الكون أو ما يسمى عقيدة الخلق، ففي الآية الثانية من سفر التكوين، نجد أن هذا الكتاب المقدس يظهر أن الأرض كانت تغمرها المياه وتغمر كل شيء فيها بعمق بعدما خلقت السماوات والأرض وهذا ما نستخلصه في هذه الآية " وكانت الأرض خربة وخالية وعلى وجه القمر ظلمة وروح الله يرف على وجه المياه "[1]

و عند البحث عن التفسير لهذه الآية لابد من شرح بعض المصطلحات فما يقصد بالأرض في هذه الآية هو كل ما ينتمي للمادة أو بما يسمى بالهيولي، وهي المادة الأولى المتشكلة المفروض أنها سبقت الشكل الحالي للكون[2].

وكلمة الغمر بالعبرية تشير بمعنى العمق، وكلمة غمر مستخدمة لأن المياه كانت تغمر كل شيء بعمق[3]

و عندما نتتبع القراءة في كتاب التكوين لإصحاح الأول نلاحظ أن أصل الحياة والكون نتج من الماء وهذا ما نلاحظه في هذه الآية : وقال الله يكن جلد وسط المياه، وليكن فاصلا بين المياه والمياه فعمل الله الجلد وفصل بين المياه التي تحت الجلد والمياه التي فوق الجلد،وكان ذلك ودعا الله الجلد سماء وكان مساء وكان صباح يوما ثانيا .[4]

ثم نكمل القراءة ونجد أن تجمع المياه تحت السماء إلى مكان واحد، ولتطهر اليابسة، وكان كذلك ودعا الله اليابسة أرضا, و مجتمع المياه دعاه بحارا و رأى الله ذلك أنه حسن[5]

و من خلال التأمل في هذه الآيات نجد ذكر المياه التي تحت الجلد والمياه فوق الجلد،وهنا نجد أن المياه التي تحت هي الأصل والمنشأ للكون, و لما فوق هذا الجلد الذي يفصل بين مياه المحيط ومياه الفوق هي سحاب الذي تشكل بفعل تبخر، ومنها بدأ تشكل جميع الكائنات الحية الأخرى.

و يقول العلامة ترتليان :" لقد أنجبت المياه الأولى حياة، فلا يتعجب أحد أن كانت المياه كانت تغمر كل

---

[1]– التكوين , الإصحاح الأول، ص 28.

[2]– المرجع نفسه ،ص 28.

[3]– المرجع نفسه، ص29.

[4]– المرجع نفسه، صفحة 32.

[5]– المرجع نفسه، 10 – 11 صفحة 33.

شيء بعمق[1].

و من خلال ما قيل سابقا و ذكر وأمام قول هذا الرجل الدين المسيحي فإننا أما دين مقدس يرى أن الحياة ولدت من المياه وكثيرا ما نجد آيات ربط فيها الماء بمعنى الحياة ،ومن هذه الآيات نذكر على سبيل المثال قول المسيح في حديث له مع المرأة السامرية عن الماء الحي، واصفا نفسه هو المعطي لهذا الماء الذي يرمز إلى الحياة .

يقول: بل الماء الذي أعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى الحياة الأبدية[2]

كما يقول كذلك " أنا أعطي العطشان ينبوع ماء الحياة مجانا[3]

و كذلك يقول: من شرب من الماء الذي أعطيه أنا له فلن يعطش أبدا بل الماء الذي أعطيه له يصير فيه نبع ماء ينبع فيمنح الحياة أبدية[4]

**2. الماء رمز للطهارة :**

لا يقتصر رمز الماء بدلالة الحياة فقط بل نجده في عدة طقوس التي منها طقس التعميد الذي يمارس في المسيحية وسط المياه، حيث يتم تغطيس الشخص في هذه المياه التي تتلى عليها مجموعة معينة من آيات الإنجيل أمام الملأ معبرا عملية علنية من أجل تطهير من الخطايا وإزالة المعاصي وهو أصل للتجديد أو هي الميلاد الجديد لهذا الشخص فالماء إذ رمز لطهارة ونقاوة في المسيحية.

و لهذا فان الماء يكتسي لدى أتباع الديانة المسيحية أهمية كبرى باعتبار أن الرب اختار هذه المادة كعنصر مطهر أساسي لا يمكن الاستغناء عنه في هذا الطقس و دور هاما في هذا الشأن يقول الرب : أن كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل الملكوت الله " و من خلال الآية نستنتج أن من لم يغتسل بالماء المقدس فان ولادته و انضمامه إلى ملكوت الله غير ممكنة .

---

[1]– التكوين، الإصحاح الأول، ص 29.

[2]– انجيل يوحنا، الآية 10 – 14.

[3]– المرجع نفسه، الآية 14.

[4]– المرجع نفسه، الآية 5.

فتغطيس المتعمد في الماء يؤشر إلى موت كل ما فيه من ذنوب و خطايا و ذلك لحظة الإيمان باسم الرب يسوع المسيح وإقامة المتعمد من الماء يؤشر إلى الولادة الثانية، والحياة الجديدة يحيا فيها للرب وليس للعالم

**02– الماء رمز في المعتقد الشعبي :**

تبلغ الحقول الدلالية لرمز الماء في الأدب الشعبي عدم مفاهيم تغطي معظم المفاهيم الوجود والكينونة، وتحمل معاليم جمالية وفكرية وإنسانية، فالماء في نصوص الشعبية هو دائما متحول الدلالة متسرب في ترميزات جديدة لا تشابه بينها، على ضوء ما تقدم يتبين أن الماء عنصر طبيعي يحظى بوضع رمزي وحيوي جعله ذو أهمية تبعا لذلك فإننا سوف نتناول بعض التمثلات الرمزية للماء داخل الأنساق الشعبية الجزائرية .

## أ. الماء رمز للخصوبة:

شكل الماء في المتخيل الشعبي القبائلي خزانا طبيعيا لمجموعة من المعتقدات التي مزجت بين المرئي واللامرئي، وبين التاريخي والأسطورة وبين المعقول والخرافي مما كسب الماء عدة رموز منها ما سبق ذكره ومنها هذا الرمز الذي سنتناوله الآن فالماء رمز للخصوبة في الثقافة الشعبية القبائلية.

و حتى تتوضح الرؤية أكثر و نفهم معنى، ونستخلص رمزية الماء في هذه الدلالة في دلالات الماء لا بد من الرجوع إلى بعض عادات والتقاليد التي لدى القبائل التي تعتبر عن الدلالة الخصوبة وسوف تعتمد على طقوس الزواج ففي بعض مناطق القبائل، نجد أن الماء عنصر أساسي في الكثير من طقوس الزواج , فهو يحمل معاني الخصوبة.

في منطقة بني مليكش وبعض المناطق القبائل الأخرى، وعند وصول العروسة إلى بيت زوجها وقبل الولوج إلى داخل البيت لبداية حياة جديدة تقام عدة طقوس، بحيث تقوم الحماة بإحضار إناء فيه الماء، فتقوم بتقديم بتشريبهم ثلاث جرعات من الماء العذب النقي ثم تقوم العروس بإلقاء الماء على من وراءها وهي على عتبة البيت فالماء رمز الحياة .

وعند إلقاء الماء تهرب الفتيات العازيات، لأنه حسب معتقدات أهل المنطقة لا تتزوج الفتاة التي يصيبها الماء.

ثم بعدها تقوم هذه العروسة برمي مجموعة من المكسرات كاللوز والجوز والكوكاو مع الحلوى متعددة الأشكال والسكر والقمح الذي يرمز للحياة و الخصب[1] و يقوم الحضور بالتقاطه.

و نجد بيت شعري يعبر عن هذه :

ـــ شربها الماء يا أبوها aswa-s amane a vava-s

- بنيتك المحتملة yali-k yurgalgh amane
- يوم سوف يتغير والديها assayi asanvadal imawlan

ومن خلال الجزء من مراسيم استقبال العروسة وبالبحث عن ما تخفيه هذه العادات والتقاليد فإن هذا يتيح لنا الاستعانة بالأسطورة أنزار لفهم الكثير الطقوس المؤداة في احتفالات الأعراس الأمازيغية"[2] والتي منها هذه التي أمامنا باعتبار التراث الشعبي يتعرض ضمن جوانب الحياة التقليدية لوطأة التبديلات و التعديلات الناتجة من تبني أساليب الحديثة[3]

لكن بقيت هذه العادات راسخة في ذاكرة الشعبية لكن دون أن يتركوا معناها الحقيقي ومن أين استمدت.

وهنا نحاول ربط بين طقوس الزواج المذكور سابقا وأسطورة أنزار وحيث نجد أن هذا الطقس مستمد من هذه الأسطورة، فالماء الذي ترميه العروسة إلى ورائها لتصيب الحضور يمكن بحبات المطر المتساقطة في أسطورة أنزار لتخصيب الأرض، وفي هذا الطقس يهدف إلى إخصاب العرائس والأرض معا[4]

و رمي المكسرات بمختلف أنواعها وحلويات متعددة الأشكال يرمز إلى ما نتج عن هذه الخصوبة وهي تلك الغلة التي كان الناس ينتظرونها في أسطورة أنزار،أما في هذا الطقس فنجد أنها ترمز إلى الخصب, وأن المرأة سوف تلد الكثير من الأولاد باعتبار أن هذه المكسرات يمكن تفسيريها بأن العروسين سوف يكون لهما خلف أي أبناء كثيرين، وتستطيع تصويرهم بالأطفال الذين يجمعون

[1] - AkkacheMaachaDehbia, art artisanat traditionnel et folklore Mehdi- Alger 2008 p 88

[2]– محمد أوسوس : طقوس الاستمطار الامازيغية البربرية وأساطير بشمال إفريقيا، مجلة الثقافة الشعبية، العدد 14، 2011 ص 91.

[3]– محمد الجوهري:مقدمة في دراسة التراث الشعبي المصري، دون دار نشر، 2006، ص 99.

[4]– محمد أوسوس : طقوس الاستمطار الامازيغية البربرية وأساطير بشمال إفريقيا،ص 92.

هذه المكسرات وسبب هذا التصوير راجع إلى حب الأمازيغ لذرية الكثيرة لأنه مجتمع ذكوري فالهدف الأول من الزواج هو الإنجاب و حفظ النسل و تحقيق استمرارية الحياة و خلود عرق بني أدم.

كما إننا نستنتج أن الماء رمز للخصوبة، في هذا الطقس من هروب الفتيات العازيات والخوف من أن يصيبهن الماء الذي ترميه العروسة خوفا من اللعنة التي قد تصيبها جراء تبلل من الماء وذلك الإنجاب باعتبارهن عازبات لم يتزوجن بعد.

و من خلال ما ذكر فإننا يمكن أن نقول أن طبيعة هذه الممارسات الطقسية تفرض على ممارسيها المواصلة في أدائها، ولا يمكن الاستغناء عنها نظرا لهالة تقديس والاحترام الذي تمتاز بهما والذي استمدته من الأساطير القديمة فضل يوظفون هذه العادات الحاجة قائمة في حياة الجماعة لكن مع مرور الزمن غاب عنهم أين استمدوها و غاب مصدرها .

حاولنا أن نربط بين هذا الطقس الموجود في بعض حفلات الزفاف في منطقة القبائل مع أسطورة أنزار، وبمحاولة ربط بين مختلف رموز ودلالات هاذين المعتقدين الشعبيين، نجد أن النماء رمز للخصوبة والنماء في كلا الموضعين لتطابق الحاصل بينهما.

### ب. الماء رمز للقداسة:

نظرا لطبيعة المنطقة وتقاليدها الجوية والجفاف الذي يصبها والحاجة المستمرة للماء عند الامازيغ ( القبائل ) فإنهم قدسوا هذه المادة الحيوية، لأهميتها ولحاجتهم إليها ،واعتبروها تحمل قداسة خاصة بها ولم يكن هذا في الزمن الحالي فقط بل من الأزمان الغابرة ،إذا نجد شواهد تشير لعبادة الآبار والعيون والأنهار في مختلف المناطق الأمازيغية.

و كان الاعتقاد السائد بأن أرواح تسكن تلك منابع المياه وتتحكم فيها، لذلك وجب تقديم القرابيين لها لأنها مقدسة[1]يشير شارل بيكار إلى موقع بالقرب من مسعد بالجلفة في وسط الحصن

[1] –Picard « notes de chronologie punique : Le probleme du V Siecle » Karthogo XII ( 1963 – 1964 ) PARIS 1965 P 06

الروماني Costellum Dimmidi حيث يوجد بئر يحتوي على قبو مقوس شبيه بالمعبد يعتقد بأنه كان يستخدم للعبادة[1].

أما عند المجتمع القبائلي فمازال الاعتقاد بأن" هناك أرواح خفية تسكن منبع المياه , وهذا ما يجعل النساء خاصة يقمن بمدح هذه الأرواح عند ذهابهن إلى العين ،ويخاطبن هذه الروح التي تسمى "اعساس "وهو روح المخفية تعيش في البيوت أو داخل الأشجار أو في منابع المياه[2]"

و كان سكان منطقة القبائل يضحون بالثور، على عتبة العين وذلك" للاستنجاد بحارس المكان الذي يطرد عفيريتا يدعى" اعقرب ومن" الذي كان يسرق الماء العين ويقوم بإيذاء نساء القرية اللواتي يذهبن إلى العين لجلب الماء[3]"

## ج.الماء رمز للكرامات عند أولياء الله الصالحين:

كما وجدت المعجزات عند الرسل والأنبياء، فان للأولياء الله الصالحين كراما يجريها الله في أيدي أوليائه، وتكون هذه الكرامات على خلاق ما اعتاد عليه العامة , ففي الجزائر ونجد العديد من الطرق الصوفية التي فيها العديد من القصص والعادات المرتبطة بهذه الكرامات ونجد فيها ما هو مرتبط بالماء ومنه يصبح هذا الماء رمزا حاملا لدلالات كثير سنحاول إظهار بعضها في هذا الجزء.

و من هذه القصص نجد قصة سيدي بن شرقي حيث أنقذ الصبي من الهلاك حيث يأخذ الماء هنا رمز الهلاك و الغرق فيقول نص الحكاية،" الماء في أغزر حالاته فيضان وهيجان يسقط الصبي من يد أمه في الواد، ويضيع فيخرج من تحت البرنوس بعد أن فزغ قلب الأم"[4]

---

[1]المصدر نفسه : ص 420.

[2]– ذهبية أبت قاضي : العلاقات الأسرية في الحكاية الشعبية القبائلية، رسالة لنيل شهادة الماجستير, كلية العلوم الإنسانية قسم الأدب العربي ، جامعة تيزي وزو، 1999 ،ص 37.

[3]نبيل حويلي : أشعار الزواج لمنطقة عزازقة، رسالة لنيل شهادة الماجستير , كلية الأدب و اللغات، قسم الأدب العربي جامعة تيزي وزو، 2012 ،ص 93.

[4]– محمد دحماني : حكايات كرامات الأولياء في منطقة الشلف , مذكرة لنيل شهادة الماجيستير , جامعة بن يوسف بن خدة الجزائر، 2005 – 2006، ص 128.

كما نجده يأخذ رمز الحياة واستمراريتها في حكايات التالية حيث عدم وجوده هو انعدام وزوال الحياة والوجود، فحكاية سيدي محمد بن علي تروي" كيف يطلب الناس الماء فيضرب الولي بعصاه فيفجر الماء ينابيع[1]" بعد انعدامه و قلة وجوده.

كما نجد حكاية أبي الوكيل المتصوف الصلح الذي اعد حفرة لماء المطر، حيث يقصد الناس موضع الماء وقت الجفاف , فأمر أبو الوكيل قومه أن يسقوا من الحفرة و تحاول زوجته أن تمنعه فيعرض عنها، و لما انتهى ماء الحفرة دعى الله ليغيثه، فنشأ السحاب وهطل المطر[2] وهنا ندرك أن الماء أساس الحياة وزواله هو انعدام ووجوب البحث عن هذه المادة الحيوية لاستمرار العيش والحياة التي ترمز الى القوة والحياة .

و نجدأن لكل ولي من هؤلاء الأولياء قبة مدفون بداخلها أو بجانبها بئر من ماء مقدس عند العامة، معتقدين أن هذه المياه قادرة على قضاء وحوائجهم و يرون أن مياه هذه الآبار هي مصدر للبركة و فال خير وسبب لكثرة الخيرات والازدهار والرفاهية كما نجد العامة يرون أن لهذه المياه القدرة على الشفاء من العاهات والعقم،إذ تشتهر كل بئر لولي صالح بقدرته على معالجة نوع معين من الأمراض حسب الاعتقاد المحلي.

## 03.رمز الماء في الأسطورة:

إن دراسة النصوص الأسطورية لمختلف الحضارات القديمة التي تناولت موضوع الماء يحيلنا إلى اكتشاف عدة رموز أخذها مننها هذا الموضوع لهذا سوف نتناول رموز بعض الأساطير في مختلف الحضارات التي لها نفس الدلالة.

### أ. المياه رمز نشوء الموجودات وأساس الخلق:

إن فكرة نشوء الموجودات من الماء نجدها في مختلف الحضارات القديمة التي أرجع تأصل الأول وأساس الخلق هو الماء وهذا ما سوف نستعرضه ولأن مع مختلف هذه الحضارات.

---

[1]– محمد دحماني : حكايات كرامات الأولياء في منطقة الشلف، ص 129.

[2]– المرجع نفسه ص 129.

إن الحضارة السومرية وما تركته من نصوص أسطورية يتضح "منها أنأصل النشوء الأول كان من المياه"[1]والسومريين استنتجوا"ما يمكن أن نسميه بالبحر الأول"[2]أو في هذا البحر الأول أنه "السبب الأول والمحرك للوجود، وفي هذا البحر الأول تكون الكون"[3]

و في الألواح السومرية نجد أن هذا البحر الأول هو إله اسمه Namma أو Nammu

ونجد في الأسطورة البابلية الخلقية تفصيلا دقيقا بما قيل حيث نقرأ فيها :

- عندما في العلى لم تكن هناك سماء
- و فيالأسفل لم يكن هناك ارض
- وابسو الأولى الذي منه سيولد الآلهة
- الوالدة تيامة التي ستلدهم جميعا
- كان المرجان مياههما معا
- و اذا لم تكن المراعي مجتمعة و القصبات منظورة
- واذ لم يكن قد ظهر احد من الآلهة
- ولم يكن قد خطي احد لمصير[4]

و من خلال مختلف الترجمات لهذه الملحمة الأسطورية ندرك أن"أصل الكون راجع إلى ثيامة

---

[1]– اسامة عدنان يحي : الآلهة في رؤية الإنسان العراقي القديم، دار الصداقة للنشر الالكتروني، مركز الصداقة الثقافي فلسطين www.alsdaqa.com ،ص 12.

[2]– المصدر نفسه، ص 13.

[3]– المصدر نفسه، ص 13.

[4]– يقدم الأستاذ فريحة في كتاب ملاحم و أساطير الأدب السامي في صفحة 89

ترجمة مغايرة لهذه الأبيات يقول :

- كان هناك ثالوث مقدس ابسو الغمر العظيم
- مجتمع المياه العذبة و تيامة الغمر العظيم
- مجتمع المياه المالحة و موممو الضباب
- اضطر الماء و امتزج العذب بالمالح
- فولد الكون من الزبد الأرض
- و من الأمواج كانت الجبال
- و من تطاير الماء ارتفع سماء فوق الكون

وابسو عند البابليين و جعلوا ابسو زوجا لتيامة التي سموها أما لآلهة"[1] وعند البحث عن معنى كل من ابسو وتيامة نجد أن ابسو APSU و هي المياه البدائية عذبة و تيامة TIAMAT المحيط[2]أو المياه المالحة و هما عنصري الذكر والأنثى على التوالي.

و نتيجة لتلاقح هذا الكائن المذكر المؤنث مع ذاته أنجب كيانا جديدا وكان هذا الكائن الجديد هو انليل الذي يعني الهواء أو الليل أو العتمة أو الظالمة[3]

و بعد هدا الخلط و ظهور هذا الكائن الجديد الذي سوف يفصل بين مياه و مياه فرفع المياه الذكر إلى الأعلى لتصبح السماء وحط بالمياه الأنثى إلى الأسفل لتصبح أرضا[4]

وفي الميتولوجيا السومرية فان الكيانات الكبرى الخالقة للوجود نجد الإلهآن( السماء ) اله انليل ( الهواء ) اله أوتو ( الشمس ) اله آنكي ( الماء )

و هنا ندرك إن كي ( الأرض) غير موجودة فالسومريون يعتبرون الأرض كانت أصلا مياه انفصلت مياه السماء[5] عنها.

أما عند المصريين القدامى فلم يختلفوا عن السومريين تجديد في بداية الكون التي تخيلها المصريون بان عبارة الفصل المياه الأزلية[6] فجعلوها قوة تتجدد في الإله "نون" الذي اعتبروه هو المبدأ الأول أو الأصل الأول.

ويعتقد المصريين أن" مياه الخلق الأولى نون و اقنومة الأنثوي"[7] هما اللذان أنجبا المحيط اللامتناهي الموجود منذ ملايين السنين، منه خرج الإله أتوم.

---

[1]– اسامة عدنان يحي : الآلهة في رؤية الإنسان العراقي القديم ،ص 14.

[2]– المرجع نفسه، ص 16.

[3]– سيد محمد القمني : قصة الخلق منابع السفر التكوين، المركز المصري للبحوث الحضارة ،ط 02، 1999، ص 30

[4]– المرجع نفسه، ،ص30.

[5]– يارو سلافتشرني : الديانة المصرية القديمة ،ترجمة احمد قدري، دار الشروق الطبعة الأولى، القاهرة مصر، 1992 ص 61.

[6]– المرجع نفسه ،ص60.

[7]– بريو شينكينس:أسرار الفيزياء أللفلكية والميثولوجيا القديمة، ترجمة حسان ميخائيل اسحق،دار علاء الدين للنشر والتوزيع سوريا ،الطبعة 1، 2006، ص 7.

كما أن هذه المياه أخذت بالتراجع شيئا فشيئا حتى ظهرت منها" قطعة من اليابسة دعيت بالهضبة البدئية التي صارت مركز الأرض وأساسها[1]".

وهنا أخذت هذه الأسطورة المصرية تتباعد في خلق جميع الأمور على الأرض حيث اعتبرت البيضة تشكلت على الهضبة من التراب والماء ظهرت منها الشمس في صورة طير"ثم خلق الجميع الآلهةالأخرى بصفة تدريجية.

نجد الأسطورة " هيوبوليس " التي كانت ذات انتشار واسع في أرجاء مصر التي اعتبرت أن" أتوم" ATUM و تقول الأسطورة أن" هذا الأخير خرج من عماء المياه الذي يسمى " نون NUN" ثم ظهر فوق تل وأنجب بغير زواج الإله " شو SHU" الهواء والإلهة تفنت tefenet الرطوبة[2]"

أما الإغريق فرؤا أن العالم بدأ بمادة سموها الهيولي وهو الماء وكان الهيولي كله فوضى ولكن جميع الأشياء الموجودة وقتذاك مختفية في ذلك الهيولي[3] و بعد عصور طويلة انقسم إلى كائنين ضخمين أي إلهين عظيمين هما :جايا أو الأم الأرض أورانوس أو السماء . لما اقترن أورانوس بجايا أنجبا عدة أولاد بعضهم جميل جدا، والبعض الأخر وحوش عمالقة مفزعون[4]

هو نفس ما ذهب إليه هيسود في كتابة أصول الآلهة يقول فيه " في البداية لم يكن سوء العماء المائي المظلم المتسع بلا حدود ومن العلماء ظهرت جيا،الأرض الراسخة الاثداء[5]"

أما في بلاد الهند موطن الأديان والأساطير المختلفة , فان أصل الكون فلم تختلف عن سابقتها من الحضارات فتقول الملاحم الهندوسية ما يلي : "عندما كان لم يكن هناك شيء في الوجود مر الخلق من خلال طريق طويل , إذ خلق في البدء الماء ونشر فيه الزرع الذي ينمو و يصبح بيضة ذهبية.

---

[1]– بريو شينكينس: أسرار الفيزياء أللفلكية والميثولوجيا القديمة، ص 07.

[2]– إمام عبد المفتاح إمام: المعتقدات الدينية لدى الشعوب، سلسلة كتب ثقافية، دار المعرفة، 1993، ص 36.

[3]– أمين سلامة : الأساطير اليونانية والرومانية، دار الفكر العربي، ص 12.

[4]– المرجع نفسه، ص 13.

[5]– فراح سواح: الأسطورة و المعنى ، دار علاء الدين للنشر و التوزيع و الترجمة 2001، ص 30.

وبعد سنة من تكوين البيضة تنقسم إلى قسمين السماء والأرض[1]" وهنا ندرك أن أصل الكون هو من الماء وان بداية العالم بدأت من الزرع فيه فهو لا يختلف عن سابقتها

أماالأساطير الهندوسية فترى أن الكون خلق تدريجيا ففي كتاب " قوانين منو" في إحدى فقراته يشرح فيها الموضوع يقول:" في المبدأ كان الكون مغمورا في غيابة الظلام ولا يمكن إدراكه خاليا من كل وصف مميز، ثم تعلقت إرادة المولى الموجود بذاته التي تدركها الأبصار فجعل هذا العالم مرئيا وهو عناصره الخمسة وأصولهالأخرى،فاقتضت حكمة برهما الذي لا يدركه العقل أن يبرز من مادته المخلوقات المختلفة فأوجد الماء أولا، ووضع فيه جرثومة فصارت الجرثومة بيضة لامعة لمعان الذهب.

من خلال هذه الفقرة ندرك أنأصل الخلق الكون انبثق من المياه التي احتضنت الجرثومة التي تحولت إلى بيضة ثم تتحول إلى عالم كاملا بما فيه بعد ما تنقسم إلى السماء والأرض.

**ب.الماء رمز للخصوبة:**

تنوعت الدلالة التي أخذتها المياه في الأساطير مختلف الحضارات القديمة فنجد إضافة إلى الدلالتين السابقتين أن الماء يرمز إلى خصوبة.

فنجد ان الحضارة السومرية تحتوي على نصوص أسطورية تظهر أن الماء رمز للخصوبة ففي أسطورة الخلق والتكوين وأصول الأشياء بعدما فصل انليل( اله الهواء ) بين الأرض والسماء جلست الإلهة آن (السماء) انليل (الهواء) و نو (الشمس) انكي الذي هبط تحت اليابسة والى عمق الأرض (الماء) ولما قرروا خلق البشر على الأرض، فنجد نص يروي قصة خلق البشر يقول:

- الأم الأولى نمو تأتي إلى آنكي
- تخاطبه قم يا بني من فراشك
- و اعمل ما هو حكيم لائق
- اصنع عبيدا للآلهة
- و عساهم أن يضاعفوا من عددهم

[1]– الأب هبري المقدسي: الموجز في المذاهب والأديان، مجموعة حضارات، 2007 ،ص 30.

- فتدبر أنكي الأمر و قال لأمة نمو
- فاربطي عليه صورة الآلهة
- اعجني لب الطين الموجود فوق مياه العمق
- و اجعلي الصانعين المهرة يكثفون الطين[1]

و نفهم من النص أولا أن أنكي هو الماء أوإبسو الذي هو يعتبر السائل المخصب الذي هو في جوف الأرض (الام الأولى نمو تأتي إلى آنكي) و يظهر كونه في العمق الأرض في البيت (أعجبني لب الطين الموجود فوق مياه العمق)

و نفهم كذلك من النص أن الذي يجب أن ينسب إليه فعل الخلق الإنسان هو الإله (أنكي) يوصفه سائل المخصب[2]

يظهر أن انكي لم يفعل أكثر من تلقيح الأرض رغم أن الأم الآلهة طلبت منه قيام بالخلق الإنسان كاملا وهنا ندرك أن الماء أو آنكي دوره تحقيق الخصوبة لا غير.

كما أن الزرع في الميثولوجيا السومرية له إله خلق عبر تخصيب الإله آنكي بوصفه المخصب الإلهة تتهور ساج فتحمل لمدة تسعة ايام[3] فتضع اله الزرع و هذا الإله صور على شكل حبة القمح التي سميت نن شال التي تدل على الفرج الأنثوي كمصدر للحياة و تلاحظ تشابه بين حبة القمح المغلوقة وبين الفرج الأنثوي[4].

فتصور وعندما يشاهدون فلقة حبة القمح تخرج إلى حياة جديدة بعد ريها بماء الخصب كما يتفلق الفرج الأنثوي عن ميلاد جديد بعد ريه بماء الذكر[5] فيقول النص:

- كان للآلهة دار طهارة و سلام للمقام وهي (دلمون)

---

[1]– سيد القمني: منابع السفر و التكوين، المركز المصري للبحوث الحضارية، ط 2 ،1992 ،ص34

[2]– المرجع نفسه ،ص 35.

[3]– سيد القمني: منابع السفر و التكوين ،ص42

[4]– المرجع نفسه، ص42.

[5]– المرجع نفسه، ص43.

- في دلمون حدث أول عملية خلق للثبات عن طريق تخصيب آنكي (تتهور ساج لتنجب إلهة النبات[1].
- و من خلال هذه الأبيات نجد أن موطن الأديان هو دلمون الجنة النقية الطاهرة بينما الأرض قاحلة فيطلب تنخر ساج من زوجها أن يجري فيها الماء فأحضرت الأرض وارتوى الزرع.

فيمتزج انكي علامة على الأرض السبخات المائية التي أمر رسوله و تابعة ايسموند بأن لا يسمح لأحد أن يقترب[2] منها لكن انكي سوف يضاجع زوجته و ابنته ننمو و حفيدته و ابنة حفيدنه انو لكن تحل عليه اللعنة و يمرض بسبب الشرط الذي وضعته أرنو بعدما وصتها جدتها ننرساج

فتستوطن جسمه ثمانية علل بعدد النباتات التي آكلها يؤدي مرض انكي إلى قحط الأرض[3]

بمرض انكي نستنتج أن غيابه هو غياب الخصوبة فهو مخصب الأرض وما فيها واتحاد الماء بتربة الأرض أي زواج آنكي من ننرخاص تأسس لفكرة صلة العلاقة الجنسية يخصب فيها الأرض وهو دليل على نشاطات انكي الإخصابية و هده النشاطات تجاوزت إلى بنات ننرساج و آنكي النبي هي بحاجة إلى الإخصاب لضرورة المزاولة في الكون.

و إذا عرجنا إلى الحضارة المصرية وأساطيرها، فإننا نجد أنها لا تختلف عن الحضارة والأساطير السومرية في اعتبار الماء رمز للخصوبة، وهذا ما ندركه عند إله اوزيريس الذي يعتبر تشخيصا للفضيان النيلي ولميلاد الجديد وللحياة الخضراء[4] كما أننا نجد أن هذا إله يعتبر ربا للخصب و الازدهار[5] بعد اتحاده بالمياه و الفيضانات والتربة ونبات.

ففي هذه الأسطورة ندرك أن الطبيعة تموت وتنبعث من جديد بشكل متكرر فنجد الفيضانات هنا مجرد تغيير فصلي وميلاد حياة جديدة وهنا ندرك أن دور مياه الفيضانات هو إعطاء الخصوبة للأرض كإشارة لبداية خلق جديد و هذا ما ندركه في احد النصوص توابيت " يظهر اوزوريس عندما

---

[1]– سيد القمني: منابع السفر و التكوين، ص 44.

[2]– فراح سواح: الأسطورة و المعنى ،ص 69.

[3]– المرجع نفسه، ص 30.

[4]– يارو سلافتشرني : الديانة المصرية القديمة، ص 112.

[5]– أشرف أيوب معوض: طقوس الخصوبة في المجتمع المصري، مجلة الثقافة الشعبية ،العدد 28، البحرين، 2015، ص 106.

يفيض الماء "[1]فالإله اوزوريس هو الخصوبة لا تتحقق هذه الأخيرة حتى يفيض الماء الموجود في نهر النيل فالماء هنا مخصب لما حول النيل من تربة حسب المصريين القدامى

كما نجد في طقوس المصرية القديمة طقس يسمى عروس النيل[2] الذي يمثل في رمي فتاة شابة جميلة إلى نهر النيل و تقديمها زوجة له وذلك من اجل أن يفيض هذا الأخير ويخصب بمياه ضفاف الوادي ويقام هذا الرقص عندما يرتفع منسوب مياه الفيضان. الهدف من القيام بهذا الطقس هو مساعدة نهر النيل من أجل إعطاء الفيض الكافي لتخصيبالأرض.

ومن خلال النظر في ديانات الهندية نجد أن الماء رمز للخصوبة لدى الهنود ويظهر ذلك في الديانة الهندوسية التي كان لها إله إندرا وهو قوي عظيم يجسد القدرة الخالقة على الأرض وخلق شروط الحياة وإنشاء عالم منظم ومحافظة على استقرار هذا النظام ويحقق ذلك بالتحكم بالمطر الماء ويعزز الحياة على الأرض[3]

فالماء هنا هو قوة التي تساهم في الخلق على الأرض، وعنصر لا يمكن الاستغناء عنه في هذه العملية وهو الذي يحافظ على النظام واستقرار الكون والحياة فدوره تخصيب الأرض لينبت الزرع يخضر الكون منه يقتات البشر والحيوان وتستمر الحياة على وجه المعمورة، وهذا الإله هو الذي تحول مع تطور هده الديانة إلى "فيشنو".

**ج.الماء رمز للدمار والهلاك:**

لم يأخذ رمز الماء فقط دلالة الخلق والنشوء في الأساطير بل أخذ كذلك دلائل منها أن الماء رمز للدمار والهلاك والكون. وهذا ما نجده في مختلف أساطير الحضارات القديمة، فنجد فيها شيوع طوفان الذي يكون سببا في الدمار والهلاك الكون والعالم جميعا.

---

[1]– أشرف أيوب معوض: طقوس الخصوبة في المجتمع المصري، ص 107.

[2]– قصي منصور عبد الكريم تركي: جوانب من جذور الحضارة لأساطير بلاد الرافدين و أثرها، في الثقافة الإفريقية القديمة المجلة المغاربة للدراسات التاريخية و الاجتماعية، العدد 7، الجزائر، ديسمبر 2013، ص 06.

[3]– عادل تيودور خوري: مدخل للأديان الخمسة ،المكتبة البوليسية ،ط الأولى، جونيا لبنان، 2005، ص 4.

فنجد عدة نصوص في الحضارة السومرية تناولت موضوع الماء كرمز للهلاك الكون والبشر إلا من قررت إلهة فنجد من هذه النصوص ملحمة جلجالس وملحمة اترحيس والنص نيبور كل هذه النصوص الأسطورية تصور الطوفان أنه عقاب أنزلنه الآلهة بالجنس البشري[1]

فتروي كل أسطورة سبب هذا العقاب ففي اتراحيس نجد أن الدوافع هي أن الإله " أنليل في محاولة لتقليل من تعداد البشر الذين بدأ تكاثرهم وضجيجهم ويقض عليه ويمنع النوم عن جفونه

- لقد عمرت الأرض و تكاثر الناس
- تكاثروا حتى تخمت بهم الأرض كما تتخم الشاة
- و تزايدو حتى أزعجوا الإله 'انليل'[2]

و لقد ظفر الإنسان بالبطولة في كل ملحمة منها بالخلود وبقي بفضل ما قدمته له الإله آنكي من تحذيرات وكذلك عن طريق بناء سفينة تهرب عليها العائلات والبشر والحيوانات[3] وهذا ما سوف نراه في النصوص الأسطورية التالية

- ففتح انكي فمه

و قال مخاطبا إنليل

لماذا امرا .....

سأمد يد المساعدة إلى البشر.....

و الطوفان الذي قد أمرت به[4]

- و في الوقت المحدد الذي سأعينه لك
- ادخل الفلك و أغلق عليك بابك

احمل إليها الحبوب و المتاع و المواشي

زوجك و عائلتك و أصحاب الحرف[5]

---

[1]– إمام عبد المفتاح إمام: المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ص 19.

[2]– فراح سواح: مغامرات العقل الأولى، ص 77.

[3]– إمام عبد المفتاح إمام: المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ص 19.

[4]– فراح سواح: مغامرات العقل الأولى،ص 172.

[5]– المرجع نفسه،ص 173.

فنجد الأساطير تصور تفاصيل هذا الطوفان وكيفية نجاة أبطالها فمثلا جلجاميش هرب من الطوفان وكيف استقرت سفينته في النهاية على جبل "نصير" بعد اختبر انحسار الماء[1]

أماأسطورة طوفان اليونانية مهلكات الكون فنجدها لا تختلف كثيرا عن أساطير السومرية، لقد جاء في هذه الأسطورة الإغريقية أن كبير الآلهة الاولمب " زوس" قرر تدمير الحياة على الأرض[2] وهذا بسبب سرقة بروميثيوس للنار، وتقديمها للبشر ومساندته وحبه الدائم لهم، وكانت هذه النار سبب في تقدم وازدهار البشرية فقرر إرسال الطوفان عارما يستمر تسعة أيام يقضي على الناس جميعا[3] فلما علم بروميثيوس فحذر ابنه ديوكاليون من هذا الطوفان فاختبأ الإبن مع زوجته برهار فوق جبل بارناسوس وقت الطوفان وأشفق عليهم زوس وتذكر حياتهما التي لا غبار عليها.

ولما انحصرت المياه لجأ ديوكاليون وزوجته إلى معبد الآلهة فجاءهم صوت خفي غامض" أعيدوا تعمير الأرض بالسكان من عظام أمكا "[4]

و فهم ديوكاليون قول فغطى هو وامرأته رأسيهما وأخذ يرميان الحجارة خلف ظهريهما وهما سائران فتحولت التي رموها إلى رجال وإلى نساء وتبعا للأساطير القديمة، أسلاف جميع سكان الأرض اليوم[5]

و نجد أن في الأساطير الإفريقية القديمة يعتبر الماء مصدرا للهلاك و نهاية عهد وهذا ما نجده في الأسطورة قبيلة " ماساي" التي تقع في جنوب إفريقيا حاليا . تروي حكاية رجل اسمه " تومياينوت" عاش حياته باستقامة تزوج امرأة تدعى "تايباندي" ،وولدت له ثلاث أولاد ثم تزوج من أرملة أخيه التي تدعى " ناهابا لوجوينجا " وولدت له ثلاثة أبناءأيضا، وبعد أن كثر الفساد في الأرض، وفي قبيلة بالذات قررت الآلهة أن تهلك الجنس البشري ما عدا " تومياينوت" فأمرته ببناء فلكا من الخشب،وأن يركبه هو وزوجاته وأبنائه، ويأخذ معه عدد الحيوانات من كل صنف وبعد بداية الطوفان بفعل سقوط المطر بغزارة حتى تشمل كل الأرض، وبعد أيام توقف المطر فأرسل "تومياينوت" حمامة لتتحقق من

---

[1]– إمام عبد المفتاح إمام: المعتقدات الدينية لدى الشعوب ،ص 19.

[2]– المرجع نفسه ،ص 54.

[3]– فراح سواح: مغامرات العقل الأولى ،ص 159.

[4]– أمين سلامة: لأساطير اليونانية والرومانية، ص 20.

[5]– المصدر نفسه ، ص 20.

إنحسار الماء وظهور اليابسة،أرسل حمامة للاستقصاء الوضع فعادت، منهمكة فأرسل الصقر الذي عاد ومعه البشرى بأن الطوفان قد انحسر، فرست سفينته على أرض البراري ونزل الركاب[1]

## 04.رمز الماء في أسطورةأنزار:

ارتبط الماء بحياة البشر ارتباطا وثيقا سواء كانوا أفراد أو قبائل أو حتى شعوب، وأمم وهذا ما يظهر أهمية هذه المادة كعنصر حياتي لها أهمية كونية، وقد تجاوزت مساهمته في الحياة حدود الاستعمال اليومي وما يرتبط به من أمور العبادات والحاجات اليومية من شرب وطهارة وما يرتبط به وما يتجلى من أساطير تضمنت مجموعة من دلالات الرمزية ذات أبعاد مختلفة و من هذه الأمم نجد الامازيغ الذين استوطنوا في شمال إفريقيا الذين أدركواأهمية الكبيرة للماء، وحاجتهم الماسة والمستمرة إليه فأحاطوه بقداسة وهذا ما ندركه في أسطورة أنزار القبائلية نصا وطقسا، وسوف نحاول استخراج دلالات الرمزية للماء، وننقل الحياة من شكلها الممارس العفوي إلى الشكل الأدبي.

**أ. الماء رمز للحياة:**

في كل أسطورة من الأساطير الأمازيغية خصائص الخاصة بها فل كل عنصر من عناصر هذه الأسطورة دلالته الرمزية تلخص بإيجاز تجارب طويلة مرت بالجنس البشري، وجعلوا الرمز هو المدار وروجوا لما يؤمنون به، ففي أسطورة أنزار نجد الماء كمركز للحياة ،فلا غرابة أن يعتبره الأمازيغ عنصرا مهما لإعادة الحياة وتجديدها، طالما يجدد الأرض اليابسة الجافة ويعيد لها الحياة ويبعثها من جديد.

فنجد في أسطورة أنزار أن الماء يستطيع أن يبعث الحياة في كون جامد لا حركة فيه[2] بعدما أصابه الجفاف والقحط ليتحول إلى قوة تستطيع الجريان تحرك المطلق في أعماقها من حالة السكون إلى دينامية الخلق على المستوى الطبيعي[3] وهذا ما ندركه في النص الأسطوري وطقسه حيث نجد تضرع لهذا الإله المطر " أنزار" أن يعيد المياه إلى الأرض لتعود بدرة الحياة إليها.

---

[1]– قصي منصور عبد الكريم تركي :جوانب من جذور الحضارة لأساطير بلاد الرافدين، ص 15.

[2]– فراح سواح: مغامرات العقل الأولى، ص 43.

[3]– فراح السواح: لغز عشتار، دار علاء الدين ط08 ، 2002 ،ص 147.

ففي النص الأسطوري نجد الماء هو روح الفتاة[1] التي هي دائمة الاستحمام في الوادي، وهذه الفتاة ترمز إلى الأرض فهده الأخيرة لا يمكنها الاستغناء عن الماء لأنه مصدر روحها.

ثم نلاحظ دائما في النص الأسطوري انعدام الحياة بعد أن جفت مصادر المياه بعدما أوقفها إله الماء و المطر.

وتستخلص مظاهر الجفاف في الطقس الأسطوري حيث أن انعدام الماء هو انعدام للحياة فلا نبات ينبت و لا ثمار تنضج و هذا ما نستخلصه من الأبيات التالية:

- أيها الملك كف عنا الجفاف
- كي ينضج المحصول على الجبال
- و ينمو منتوج السهول[2]

وبترجمة مغايرة

- يا إله لطف هذا الحر
- لتنبت خيرات الجبال
- و كذا غيرها في السواحل[3]

وكذلك يظهر أن لم يعد هناك أثر للعيش على الأرض ويظهر ذلك في مرحلة ثانية من طقس عندما تقوم المرأة المسنة بجرد العروس من ثيابها و تلفها عارية بإحدى الشبكات المستخدمة لنقل

ظمات السنابل و العلف للدلالة على أنه لم يعد هناك في الأرض أثر للعشب الأخضر[4]وأن هذه الشبكات لم يعد لها مهمة تقوم بها،لانعدام الغيث الذي سوف يحي المراعي.

وبعد الإنتهاء من المرحلة التالية نجد نص شعري تتلوه الفتاة متوسلة إلى الإله يظهر فيه أن

الأشياء جميعا أشكال منوعة من الماء الذي لا غنى للحياة عنه[5] فتصف فيه حالة الأهالي وما أصابهم جراء عدم وجود هذه المادة قائلة

---

[1]– محمد أسوس: طقوس الاستمطار الامازيغية البربرية وأساطيرها بشمال إفريقيا،ص 88.

[2]– امحمد جلاوي: التراث والحداثة في أشعار لونيس ايت منقلات، الورقة الزرقاء، 2007, ص 29.

[3]– محمد أسوس: طقوس الاستمطار الامازيغية البربرية وأساطيرها بشمال إفريقيا،ص90.

[4]– المرجع نفسه، ص90.

[5]– إمام عبد المفتاح إمام: المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ص 19.

- قحط حل بالبرك
- أصبحت قبرا للسمك
- والراعي غارق في الهم والشرور
- حين غذت المراعي جذب وبور
- الجماعة أفلست وجاعت[1]

وفي نهاية الطقس نجد استغاثة من النسوة و طلب لرحمة من اله حيث يظهر فيه أن الماء رمز للحياة و انه ينبت الزرع و يعيد للأرض اخضرارها فيقلن:

- أيها الإله أعد إلينا الأمطار
- رفقا الأرض كساها الاصفرار
- لكي تثمر النعم والعلف[2]

و في اخر النص نجد عودة الحياة الى طبيعتها بعد ما ظفر اله بالعروس تهف اعاد الماء إلى الأرض فعادت اليها الاخضرار و النبات و عادت الوديان الى الجريان و العيون و الينابيع إلى سيلان وفي الأخير فان الأسطورة تشير الى ان الماء مصدر حياة على وجه الارض و ان زواله و انعدامه و هو اعلان لمعاناة كل من على الارض لأنه قادر على الاحياء و الخلق و الاثبات و تجميد الكون وان الانسان الامازيغي يعتمد كثيرا على الماء فهو انسان زراعي رعوي و هما مصدر قوة يومه و لهما ارتباط وثيق بما تجود به السماء من أمطار.

**ب. الماء رمز للخصوبة:**

كما راينا ان الماء رمز للحياة له القدرة على الخالق و الايحاء والاثبات ,فانه كذلك رمز الخصوبة وهذا ما وجدته في اسطورة انزار فإن القطرات الماء الساقطة من السماء إلى الأرض على شكل أمطار،لها مغزى كبير و عميق في التفكير الإنسان الأمازيغي، فتعتبر هذه المياه كالمني الذي يطلقه الذكر لتخصيب الأنثى, فأننا يمكن ان نعتبر القران البشري بمثابة محاكاة للزوج الكوني[3] الذي

[1]– امحمد جلاوي: التراث و الحداثة في اشعار لونيس ايت منقلات ،ص 32.

[2]– المرجع نفسه: ص 33.

[3] –Eliadmicea : sacré et profane , folio essai galimard 1994 . P126

وجدناه في هذه الأسطورة حيث ان العريس او الزوج هو "إله انزار" الذي هو السماء والعرسة او الزوجة الفتاة التي هي الارض.

فاتصال انزار السماوي والفتاة الارضية وهو المسؤول عن الخصوبة والاخضرار بما يعني ان هطول المطر انما عن الزوج الكوني[1] بين السماء و الارض ونتصور ان رؤية الأمازيغي القديم للسماء بفسحتها واتساعها, وتعدد الوانها والاحداث والظواهر ,فيها, واحاطه هذه الاخيرة للأرض في الافق وتغطيها من جميع جوانبه, ومعرفته عدم التماس المباشر بين الارض والسماء واستحالة ذلك فإن هذا التخصيب لا يتم الا بدفقات ماء الحياة التي ترميها السماء على الأم الارض لتنتج الحياة.[2]

فمياه الامطار او "مني السماء" يستقر في رحم الارض ,ليظل دائما مصدرا مستمر للحياة[3] وانعدام هذه المياه يعني زوال الحياة.

ومن خلال التأمل في الأسطورة انزار نص وطقس نجد ان الفتاة تتوفق حياتها عندما ينقطع او يزول الماء وهذا الاخير يقدمه "اله انزار" الذي يرمز الى السماء ,وهو الذي يبادر الى الخطوبة والزواج كأي ذكر عادي وذلك مراعاة للمسائد في المجتمع الأمازيغي وهو ما نلاحظه في النص الاسطوري فاحبها واراد الزواج[4] ويحاول دائما التقرب منها, آو من خلال النص الذي تلاه ليعلن زواجه منها.

– ها انا اشق عنان السماء

– من اجلك يا نجمة بين النجوم[5]

– انعمي ببهائك

– ها انا اخترقت السموات

– ايها النجم الاوحد

---

[1]– محمد اسوس طقوس الاستمطار الامازيغية (البربرية) و اساطيرها بشمال افريقيا، ص 89.

[2]– سيد القمني: منابع السفر و التكوين ،ص19.

[3]– المرجع نفسه،ص24.

[4]– انظر قسم الملاحق أسطورة كاملة.

[5]– محمد اسوس: طقوس الاستمطار الامازيغية (البربرية) و أساطيرها بشمال إفريقيا، ص 88.

– انعمي ببهائك وضياه[1]

اله انزار و هنا ندرك ان الفتاة ترمز الى الارض الام و ندرك ذلك من خلال مقطع غنائي الذي تردده النسوة حين يطغن العروس حول الضريح

ايها الملك المطر

انهارت الارض الام

من اجلك تمسكت بالصبر[2]

او الفتاة هي ضرة الارض كما جاء على لسان الفتاة المجسدة لها في الطقس

انا و الارض ضرتان

تزوجنا برجل دون ان نراه

اثداؤنا جافة[3]

من خلال هذه الابيات نفهم ان الارض تجسد في فتاة هذه الاسطورة فقديما كانت المماثلة قائمة بين خصب المرأة و خصب الأرض أما اله انزار فهو يرمز الى السماء و هدا ما نجده في نص الاسطورة يعني انه دائما يكون في السماء كان ملك المطر كلما نزل الى الأرض[4]او في المقاطع الشعرية

–ها أنا اشق عنان السماء[5]

او بترجمة مغايرة

[1]– امحمد جلاوي: التراث و الحداثة في اشعار لونيس ايت منقلات ،ص30.

[2]– محمد أسوس: طقوس الاستمطار الامازيغية (البربرية) و أساطيرها بشمال إفريقيا،ص 89.

[3]– المرجع نفسه، ص 88.

[4]– محمد أسوس: طقوس الاستمطار الامازيغية (البربرية) و أساطيرها بشمال إفريقيا، ص88.

[5]– أمحمد جلاوي: التراث و الحداثة في أشعار لونيس ايت منقلات، ص29.

-ها انا اخترقت السماوات[1]

من خلال هده الابيات المستمدة من الاسطورة فان اله انزار يجسد السماء ثم يظهر من خلال الاسطورة ان هنالك علاقة تجاذب بين السماء و الارض و يتعلق الامر بفكرة لقاء السماء و الارض[2] لكن بتفكير الانساني يصعب ذلك لان الارض و السماء متقابلتين لا يستطيعان تحقيق ذلك و هنا اهتدت مخيلة شعبية امازيغية الى تجسيد ذلك

لم نرى تردد الفتاة أو رمز الارض و ما اصابها من جفاف لانعدام المطر المخصب لها و هذا ما يظهر في صرختها بعد ان جفت الينابيع و الاودية حيث تنادي انزار ب :

– أعد للوادي المنابع و لك على الفوز و الانتصار[3]

او بترجمة مغايرة

- أعد للنهر جريانه
- وتعالى خذ بثأرك[4]

وفي أخر الاسطورة نرى تزاوج السماء والارض حينما ينزل انزار ليأخذ الفتاة بين ذراعيه

و تستبعد الوديان سيلانها و تعود الحياة[5] الى طبيعتها و هنا نرى ان الانسان الامازيغي القديم جسد هذا تزاوج الكوني بين السماء و الارض و لمعرفته بصعوبة و استحالة التقاء هاذين العنصرين معا فانه جسدهما باله أنزار السماوي الذي ينزل إلى الفتاة الأرضية و يتزوجها و الاتصال الحاصل بينهما هو المسؤول عن الخصوبة و الاخضرار بما يعني هطول المطر[6]

[1]– محمد أسوس: طقوس الاستمطار الامازيغية (البربرية) و أساطيرها بشمال إفريقيا، ص88.

[2]– فراح السواح، مغامرات العقل الأولى، دار علاء الدين للنشر و التوزيع، ص 32

[3]– امحمد جلاوي التراث و الحداثة في اشعار لونيس ايت منقلات ،ص 30.

[4]– المرجع نفسه ،ص 88.

[5]– ينظر الى قسم الملاحق فيه الاسطورة كاملة

[6]– محمد أسوس: طقوس الاستمطار الامازيغية (البربرية) وأساطيرها بشمال إفريقيا ،ص 89.

و تجسد هذا في الاسطورة ان مياه الامطار هي مصدر الخصب و هذا ما نكتشفه في النصوص التي وردت في الطقس ففي طواف الموكب حول القرية نجده يطلب من اله المطر ان يوفق هذا القحط والجفاف بأمطار لتنبت خيارات الجبال و السهول فيقولون:

- يا اله لطف هذا الحر
- لتينع خيرات الجبال
- و كذا غيرها في السواحل[1]

و بترجمة مغايرة

- ايها الملك كفى عن الجفاف
- كي ينضح المحصول على الجبال
- و ينمو منتوج السهول[2]

و هنا ندرك ان هذه النباتات و الأشجار لا تنبت و لا تثمر بغياب الامطار و المياه

نكتشف من خلال المرحلة الثانية من الطقس أن الفتاة تترجى سيد الماء أو اله الماء أنزار طالبة منه الغيث واصفة له في مقطع طويل حال الأهالي بغياب المطر قائلة :

قحط حل بالبرك

اصبحت قبر لسمك

و الراعي غارق في الهم و الشرور

الجماعة افلست وجاعت[3]

وهنا ندرك ان اغلبية الاراضي كانت تعتمد في ريها على الامطار و المياه الجوفية[4] و ان انعدام هذه المصادر ينذر بجفاف و تعطل الغطاء النباتي و الحيواني و كل مظاهر الحياة المتعددة

---

[1]– امحمد جلاوي :التراث و الحداثة في أشعار لونيس ايت منقلات ،ص 31.

[2]– محمد أسوس: طقوس الاستمطار الامازيغية (البربرية) وأساطيرها بشمال إفريقيا ،ص 90.

[3]– امحمد جلاوي: التراث والحداثة في أشعار لونيس ايت منقلات ،ص 32.

[4]– سيد القمني: الأسطورة والتراث ،المركز المصري لبحوث الحضارية، ط3، 1999 ،ص 79.

على الارض[1]

ثم لا تتوقف دلالات أن الماء أو المطر هو رمز الخصوبة في اسطورة انزار حيث نجد المقطع أهازيج الذي تردده النسوة في اخر الطقس حيث يستغثن من إله يعيد الأمطار مذكرين بحالة الأرض وما أصابها جراء القحط ولهن الامل في ان تثمر يوما بعد الغيث:

ايها الاله اعد الينا الامطار

رفقا الارض كساها الاصفرار

لكي تثمر النعم والعلف

كما اثمر النسل و الخلف[2]

و انطلاقا مما سبق نقول ان الميثولوجيا الامازيغية جعلت من الماء المتشكل على شكل امطار هو رمز الخصوبة ،و عليها ان تخصب الارض باستمرار لتعطي حياة جديدة مستمرة و ان انعدمت فهو موت لكل مظاهر الحياة[3]

[1]– سيد القمني: الأسطورة والتراث، ص 73 .

[2]– امحمد جلاوي: التراث والحداثة في اشعار لونيس ايت منقلات، ص33.

[3]– سيد القمني، الأسطورة والتراث، ص 115.

# الفصل الثالث

## رمز الأرض في أسطورة أنزار

## 01 رمز الأرض في الأديان:

### أ. رمز الأرض في القرآن الكريم:

من البحث عن كلمة الأرض في القرآن الكريم يجد أنها ذكرت في أربعمائة وواحد وستين مرة وتحمل دلالة خاصة ومعنى جديد فنجدها تقدم إشارات إلى العديد من أخلاق العلمية وفي هذا الجزء سنحاول استخراج رمز الأرض.

**الأرض رمز للتأمل في الخلق:**

لقد أمرنا الله تعالى بالنظر والتفكير في قضية الخلق وتدبر فيه استلهام عظمة الله فيها، ومما قدمه كدلالة في هذا الكون الذي أبدع في خلقه، نجد الأرض التي في خلقها حكمة بالغة و لكل ما عليها من تضاريس وأشكال، فعلى الأرض رموز شاخصة و ناطقة لمن سيراها رؤية عميقة مدركا بداعة هذا الخلق،ونجد من أقواله عز وجل في هذا الشأن: { قُل أُنْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَواتِ وِالأَرْضِ}[1] وكذلك قوله {أَوَلِمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَمَوَاتِ وَالأَرْضِ ومَا خَلَقَ اللّهُ مِن شَيْءٍ}[2]

وكذلك قوله: {قُلْ سِيرُوا في الأَرْضِ فانظروا كَيْفَ بَدَأَ الخَلقَ}[3]

وقوله تبارك وتعالى: { وفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ وفِي أَنْفُسِكمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ}[4]

فهذه الآيات جميعا تتحدث عن خلق الأرض، بهذا القدر من الإحكام والإتقان وترك فيها من الآيات ما يشهد لخالقها بطلاقة القدرة ،وإحكام الصنعة وشمولية العلم[5]

تشهد بجلال الربوبية و عظمة الألوهية، والتفرد بالوحدانية المطلقة فوق جميع خلقه .فكانت دعوة للإيمان بالله ، وحجة الكافرين والفاسقين الذين أنكروا الغيث و كفروا.

---

[1] سورة يونس،الآية 101

[2] سورة الأعراف ،الآية 185

[3] سورة العنكبوت،الآية 20

[4] سورة الداريات،الآية 20ــ21

[5] النجار زغلول راغب محمد: من آيات الإعجاز العلمي:الأرض في القران الكريم، دار المعرفة، ط01، بيروت لبنان، 2005، ص80

ومن خلال كل ما ذكر فان استخدام الأرض كرمز لبرهان قدرة الله في صنعه وعظمته لما على سطحها من دلالات، وقدرة الإنسان على التأمل ،و ما وصل إليه العلم الحديث عن أسرار الأرض وما ميزها الله بها،جعله مهدا للحياة يتخلف عن باقي الكواكب ،هذا الكوكب صالح للعمران بالحياة الأرضية بجميع صورها [1] ومن هذه البراهين التي استعملها الخالق لإظهار دلالات خلقه وعظمته نجد الآيات :

قوله عز قائل :{ثُمَّ إِسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَان

فَقَالَ لَهَا وِلِلْأَرضِ ائتيا طَوْعَا أَو كَرْهَا قَالتَا طَائِعِين }[2]

وقوله تعالى:{أَوَ لمْ ير َالذِّين َكفَرُوا أَن َّالسَّمَاوَات ِوالأَرْضِ كَانَتَا رَتْقَا فَفَتَقْنا هُمَا}[3]

هذه المراحل تؤكد الحكمة و التدبير الخالق في خلق السماوات والأرض، كما يظهر الدلائل طلاقة قدرته

**ب.رمز الأرض في المسيحية:**

لم يختلف الدين المسيحي عن الإسلام فنجد عدة آيات في الإنجيل تدعوا إلى التأمل في الخلق الأرض وتصور فيها الحياة.

فنجد:{ نطق الله بما ينبغي أن يكون، خلق الله كل شيء بمجرد كلمة من فمه، فكان كذلك وكذلك فيما يتعلق بالأرض وجميع سكانها صنعت السموات بكلمة الرب، وبنسمة فمه}[4] :

نجد آيات تكشف عن قدرة الله في الخلق كل ما على الأرض بمجرد كلمة، ويهب الحياة فيها هذه الأخير تأتي من الله، وبدونها لن تكون هناك حياة

في البدء، خلق الله جميع أشكال الحياة: النباتات، الطيور الأسماك، الحيوانات البرية، والناس جاءت الحياة بكاملها من الله خلق الله السموات وبسط الأرض. وهب الشعب التي عليها نسمة والسائران فيها روحا[5]

---

[1] النجار زغلول راغب محمد: من آيات الإعجاز العلمي :الأرض في القران الكريم، ص90

[2] سورة فصلت، الاية11

[3] سورة الأنبياء، الآية 30

[4]سفر المزامير، 33

[5]رسالة بولس الأولى إلى تيموثاوس6 13

## 02 الرمز في المعتقد الشعبي:

لا شك أن رمز الأرض في المعتقد الشعبي ، قد شحن بعدة دلالات في المجتمع الجزائري ،فإذا عدنا إلى الوراء وتصفحنا مدونات التاريخ الجزائري ، وجدنا أن هذه كلمة تتعدى دلالاتها إلى أكثر من ذلك.

فنجدها رمز للقداسة و الشرف فالأرض شيء مقدس، لا يسمح التلاعب به، فيقول المثل الشعبي:(لِي بَاعْ أَرْضُوا بَاعْ عَرْضُو)

فمن خلال المثل يظهر أن الأرض إذا بيعت، فقد صاحبه شرفه وأصبح محقور في مجتمع وليس له شأن ومكانة في المجتمع ،كما أن القبائلي لا يسمح في أرضه حتى ولو كان شبرا،لا يقبل أن يغرس التين الشوكي لأنه يكبر إلى جهة الجار ،و منه يمكن أن يستحوذ على الأراضي بنزعه من جهته ويغرس دائما أشجار الرومان .و يعود سبب تقديسه للأرض باعتبارها مصدر رزقه الوحيد .

كما نجد مثلا آخر في منطقة القبائل يساند ما ذهب إليه المثل الأول (أرض الأجداد لا تباع ولا تشترى) كما أن الأرض تحمل دلالة الحرية والاستقلالية الفرد في المجتمع ، فعند الامازيغ لا يثبت الرجل استقلاليته ،إلا إذا امتلك بندقية و زوج من الثيران و قطعة ارض .

كما أن الأرض عند القبائل رمز للمعرفة الغني من الفقير، فكلما كان للفرد أراضي كثيرة، كبر شأنه في المجتمع، فالأرض معيار يعرف به الغني، ويقال أن فلان صاحب أملاك.

كما تعتبر الأرض في المعتقد الشعبي الجزائري، هي الأم الكبيرة التي تمد أولادها بكل ما يحتاجه من زرع وماء وعلف وخضر وفواكه، فيرى أنها هي أمهم التي لن تتخلى عن البشر، فهي الحنون المعطاء التي لا يغمض لها جفن من اجل أولادها[1]

[1]شهيرة بوخنوف: أساطير وطقوس الاستسقاء واستقبال الربيع في خراطة (بجاية)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة مولود معمري، 2012 ،ص26

## 03 رمز الأرض في الأسطورة:

تعتبر تجارب وثقافة المجتمعات سبب في إبداع أساطير، يشكل ويصاغ فيها رموز، بحيث تحمل هذه الأخيرة عدة رموز، تترجم تجربتهم وانفعالاتهم ، و تتفق مع تفكيرهم ،و تكون قادرة على حمل شحنات إيحائية عميقة، ونجد أن المجتمعات أكسبت رمز الأرض عدة دلالات ، ونهدف من خلال هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على رمز الأرض في عالم الأساطير، واستلهام دلالاته.

### أ. الارض رمز الخصوبة:

لقد أدرك الإنسان القديم أن كلمة أرض تحمل عدة دلالات، وترمز إلى عدة معاني، و إن المتأمل لنصوص الأسطورية المختلفة يدرك ذلك، وهنا سنحاول أن ننفذ إلى أسرار الأرض وسوف نستخرج مغاليقها. ومما وجدناه أن الأرض رمز الخصوبة والحياة و النماء في الأساطير العالمية.

فعند الإغريق مثلا نجد الإلهة ديميتر ربة الأرض ومحاصيلها و ثمارها [1] وتضم عبادتها تقديس بذرة الحياة في كل اليونانيين يصورونها على شكل امرأة تضع إكليلا من السنابل القمح وشريطا بسيطا حول رأسها وتمسك صولجانا أو ثمرة الخشخاش و أحيانا أخرى قرن الإخصاب تتناثر منه الحبوب والثمار

كما أدرك الإنسان اليوناني، أن بدون قوتها الخيرة لا ينبت شيء لا في الغابات الظليلة و لا في المروج الغناء, ولا المروج الغناء ولا في الحقول الخصبة [2] فهي واهبة الخصب، ويظهر ذلك في أسطورة التالية

برسفونة ابنة الربة ديمترا ، عند نزهتها مع صديقتها في الحقول وتنقلها بين الأزهار، يختطفها هادس إله العالم السفلي وملك الأشباح والموتى، الذي قد وعده زوس أن تكون زوجة له من قبل، تشاركه العيش في عتمة العالم السفلي و تنتشله من الوحدة. ولما علمت الإلهة ديمترا بدأت البحث عنها في أرجاء الأرض وهي حزينة، إلى أن وصلت إلى إله الشمس هيليود الذي اخبرها بان زوس زوجها بأخيه هادس، و أن هذا الأخير اختطف ابنتها.

---

[1] أمين سلامة :الأساطير اليونانية و الرومانية ،ص 85

أ أنيهاردت :الآلهة و الأبطال في اليونان القديمة ،تر هاشم حمادي ،دار الاهالي لطباعة و النشر ،ط01،دمشق سوريا،1994،ص55[2]

وفي هذا الجزء من الأسطورة يظهر أن الأرض هي مصدر الخصوبة، هنا يتوقف كل شيء عن النمو على الأرض، ذبلت الأوراق على الأشجار وتطايرت. وكانت الغابات تقف عارية، واصفرت الأعشاب خلت البساتين من الثمار, ويبست الكرمة الخضراء, ولم تنضج عليها العناقيد الثقيلة وأصبحت السهول الخصبة خاوية على عروشها لا ينمو فيها شيء توقفت الحياة على الأرض ،وضرب الجوع أطنابه في كل مكان[1] حصل كل هذا بعدما غضبت إلهة ديميترا وتركت عالم الآلهة وتملصت عن القيام بواجبها. بعدما لاحظ زوس كبير الالهة ما حصل للكون من ان الهلاك يتهدد كل ما هو حي، يتدخل ويرسل إلى هادس و يطلب منه إرجاع برسفونة ، لكن هذه الأخيرة وبسبب إفطارها من صيامها وتناولها ست حبات من الرومان تحتم عليها الرجوع إلى هاردس ستة شهور في كل عام[2] والعيش ستة شهور أخرى مع أمها.

وبعد عودتها أعادت ديميترا للأرض خصبها و من جديد ازدهر كل شيء ،اخضوضر وارتدت الغابات الأوراق،ورشت الأزهار وأعشاب المروج باللون الزمردي ،ولم يمض من الوقت الأقلة حتى نمت السنابل وازدهرت الحدائق وعبقت ولمعت تحت أشعة الشمس خضرة الكرمة [3]

أما في الأساطير السومرية فإننا نجد كذلك أن الأرض رمز للخصوبة 'وهذا ما صوره الإنسان السومري في أساطيره، فلقد أدرك أن الأرض لانتصب أو تنتهي عليها الحياة الجديدة و الخصب بكل أنواعه فهي تلد في كل سنة العشب و النبات الجديد .

لقد اتخذ السومريون الأرض كرمز للخير ومصدر الحياة، والبعث و النماء، وهذا ما رسمه بمخيلته لتفسير التناوب الفصلي لشهور السنة وما سيتبعه من تأثيرات على الأرض[4] وهذا جعله في بداية تفكيره يعبد هذه الأرض، عرفانا بها كالأم رؤوم كبرى، ومن تعكير جبهته في التراب إلى فصل روح الخصوبة عنها [5] فرا ان هذه الخصوبة لا تتركز في التربة, وإنما هي قوة كونية كامنة في الأرض باعتبار الإخصاب و العطاء والميلاد من خواص وميزات الأنثى.

---

[1] أ أنيهاردت :الآلهة و الأبطال في اليونان القديمة ،ص 57

[2] أمين سلامة :الأساطير اليونانية و الرومانية ،ص93

[3] أ أنيهاردت :الآلهة و الأبطال في اليونان القديمة،ص60

[4] سيد القمني:الأسطورة والتراث ،ص 42

[5] المصدر نفسه: ص72

و أن الأرض والأنثى فهما محور الحياة الإنسان ،لهذا وجب تقديسها وعبادتها لأن عملية التوالد في نظر السومريين القدامى من خصائص الأنثى لوحدها ومن أسرار الغريبة ،لهذا فقد شخص هذه الآلهة فبالبداية بالتربة الأرض ،لأن إخصاب التربة ليس سوى نوع من الميلاد المتجدد للمحصول[1]

كما لاحظ السومري ان هذه الأرض تفقد عذريتها التي هي جوهرها، لكنها تستعيدها مباشرة في كل مرة لأن بعد الإنبات والانبعاث تحل فترة الموت، وتستعيد عذريتها وبعد ذلك تفقدها وتستعيدها في تسلسل دائم، وهذه العذرية هي الخصوبة.

ونجد عند السومريين البغاء المقدس هذا الطقس الذي يمارسه السومريين من أجل إدامة الخلق من أجل خلق مظاهرها المختلفة. وكان هذا الطقس يمارس في المناسبة البغية، لتحريض القوى الإخصابية الكامنة في الأرض [2] واعتقدوا أن أفضل قربان يقدم هو بكارة الأنثى ، واعتبروا هذا كمشاركة لهذه الأنثى، في التهتك الذي يرجى منه أن يوحى إلى الأرض إيحاء قويا لا يستطيع مقاومته ،و أن يضمن تكاثر النبات والحيوان والإنسان[3]

كان المصريين كغيرهم من الشعوب القديمة، كانت لهم أساطيرهم عن الأرض كرمز للخصوبة فنجد عندهم عدة آلهة لها علاقة بالأرض والخصوبة ومنهم أوزير الذي كان رمز خصوبة النيل والتربة وكان لونه الأسود علاقة مباشرة بالتربة وخصوبتها [4] كما كان رمز للتجدد والبعث والإحياء من جديد[5] فأوزير هو الذي يمنح الحياة للتربة،وكان يتصل بالربة الأرض اتصالا وثيقا،وهنا أن موت أوزوريس وبعثه ما هو إلا انعكاس لموت الأرض والزرع أثناء الجفاف والبعث الخصوبة والحياة.

## ب. الأرض رمز الأمومة:

بعدما رأينا أن الأرض رمز الخصوبة والنماء وأنها مصدر خلق النبات والجماد وأنها فإننا في هذه المرة فسنرى أن الأرض مصدر الأمومة، وأن منها خلق الإنسان في مختلف الحضارات وأساطيرها.

---

[1] سيد القمني:الأسطورة والتراث ،ص73

[2] المصدر نفسه: ص 76

[3] المصدر نفسه: ص 76

[4] مهاب درويش:الفكر الديني في مصر القديمة ,مكتبة الاسكندرية,مصر,ص18

[5] المصدر نفسه: ص 18

سوف تكون البداية عند الحضارة السومرية فإننا المتأمل في أساطيرها يجد نصوص واضحة المعالم أن الإنسان، قد خرجوا من الأرض كالزرع والحشيش و الدود[1] وهذا ما جعل الإنسان يؤله الأرض ويعتبرها الأم الأولى التي أنجبت الإنسان

يظهر هذا في النص السومري يظهر خلق الإنسان ويظهر دائما أن أصل الخلق هو التراب أو من الأرض فنجد فيه:

الأم الأولى نمو تأتي إلى آنكي

تخاطبه:قم يا بني من فراشك

واعمل ما هو حكيم لائق

اصنع عبيد الآلهة

وعساهم أن يضاعفوا من عددهم

فتدبر آنكي الأم، وقال لأمه نمو:

يا آماه:أن المخلوق الذي نطقت باسمه موجود

فاربطي عليه صورة الآلهة

أعجبني لب الطين الموجود فوق مياه العمق

واجعلي الصانعين المهرة يكثفون الطين

وعليك أنت أن توجدي له أعضاء والجوارح

وستعمل ننماه {الأرض الأم أو السيدة الأم}

الأم الآلهة

من فوق يديك

[1] سيد القمني: الأسطورة والتراث،ص114

وستقوم بجانبك آلهة الولادة

{يبدو إنها ننماهذاتها }

وستربط ننماه عليه صورة الآلهة

انه الإنسان[1]

ونجد أسطورة سومرية أخرى تحكي خلق الماشية و الحبوب فيها رواية أخرى لخلق الإنسان

كالبشر، عندما خلقوا أول مرة

لم يعرف الانوناكي أكل الخبز

لا ولم يعرفوا لبس الثياب

بل أكلوا النباتات بأفواههم

وشربوا الماء من الينابيع والجداول

في الايام و في حجرة الخلق

في "دلكوج" بيت الآلهة خلق "لهار"و"أشتان"

(لهار :إله الماشية/أشتان:إله الحبوب)

ومما أنتج لهار وأشتان

أكل الأوناكي ولم يكتفوا

ومن حظائرها المقدسة شربوا اللبن

شربوا ولكنهم لم يرتووا

[1] سيد القمني :منابع سفر والتكوين،ص34

لذا ومن أجل العناية بطيبات حظائرها[1]

ونفهم من هذا النص الأسطورة الأولى ،أن الأرض أو ننماه هي التي شكلت بعدما لقحه

آنكي، وصورته في هيئة الإنسان على شبه الآلهة وولدته الأرض أو اخرج منها ،بعد تشكله .

و بالبحث عن كيفية نسب خلق البشر إلى الأرض و بالتحديد إلى الطين ,ونجد بوتيروا يقدم تعليل لذلك فيقول:(إن التمثيل و الصنع من الطين لأجسام البشر الأوائل, يعتبر صورة طبيعة جدا، في بلد يلعب فيه الفخار دورا كبيرا ,حيث نجد صنع التماثيل من الطين الفخاري بشكل إنسان ,عملا منتشرا بصورة واسعة [2])

كما أن الإنسان السومري يلاحظ الطين و ما ينشأ فيه من حياة (فطر، نباتات، ديدان.....الخ) حتى تنشأ لديه قناعة أن هذا مصدر ومنشأ الحياة عموما[3]

ولم يختلف التفكير الأسطوري اليوناني القديم عن التفكير السومري حيث يشتركون في أن الأرض هي الأم الأولى للإنسان, منها خرج أو من مادتها صنعته الآلهة، وهذا ما نجده في الميثولوجيا الإغريقية ففي إحدى الأساطير اليونانية نجد أن زوس كبير الآلهة كلف اثنين من التيتان هما بروميثيوس و أخوه ايبمثيوس بخلق جميع المخلوقات وتزويدهم بما يساعدهم على التأقلم مع ظروف الطبيعية الصعبة

فقام ايبيثموس بناء على هذا بخلق الحيوانات، وتزويدهم بالشجاعة والقوة والسرعة والتحمل،كما زودهم بالفرو، والريش،والصوف وغيرها من الوسائل الحياة والحماية . لكن عندما وصل إلى خلق الإنسان تنبه إلى انه و بسب تهوره، قد استنفذ جميع موارده ،وهنا تدخل بروميثيوس للخل الذي وقع فيه أخوه ،فاخذ ذلك التيطان طينا من شواطئ نهر في اركاديا وجعله على صورة الآلهة [4] فنفخت فيه أثينا الروح هنا ندرك إن الإنسان خلق من مادة الأرض وهي الطين أي التربة مبللة بماء

---

[1] فراح السواح:مغامرة العقل الأولى،ص46ــ47

[2] سيد القمني :منابع سفر والتكوين،ص36

[3] المصدر نفسه: ص 36

[4] أمين سلامة :الأساطير اليونانية و الرومانية ،ص 17

وفي نفس الأسطورة نجد خلق البشر مجددا لكن هذه المرة من مادة أخرى موجودة على الأرض كذلك وهذه المادة هي الأحجار، فبعد الطوفان الذي أراد به زوس التخلص من البشر جميعا بعدها قدم لهم بروميثيوس النار هدية.

فنجد بعد انحصار المياه، أن ديوكاليون وزوجته بيرا هما الناجيان الوحيدان من هذا الطوفان سمعنا صوتا يأمرهما إعادة تعمير الأرض (أعيدوا تعمير الأرض بالسكان من عظام أمكا) ففسر ديوكاليون هذا القول بأنه يعني الحجارة[1] وتروي الأسطورة كيفية تشكل هذا الإنسان من الحجارة فغطى هو و امرأته رأسيهما واخذ يرميان الحجارة، التي رماها ديوكاليون صارت رجالا، والتي رمتها زوجته صارت نساء.

وفي الأساطير المصرية القديمة، نجد أن اله خنوم هو خالق البشر ،حيث صوره المصريين القدامى على هيئة صانع الفخار، فهو الذي يخلق البشر عندما يجلس الى دولابه الفخاري[2] فكان يصنع من الطين على عجلته الفخارية، ويشكله على هيئة إنسان، وبعد ذلك يتفتح فيه أنفاس الحياة فيصير بشرا، وما تزال إلى اليوم بعض النقوش المصرية القديمة التي على جدران المعابد والأهرامات وعلى الأواني الفخارية المرقمة تصور اله خنوم ويخلق الإنسان من الطين

## 04رمز الأرض في أسطورة أنزار:

### أ. الأرض رمز للخصوبة:

إن المتأمل لنص الأسطوري المدروس يدرك أنه يحمل عدة دلالات عن رمز الأرض، وهي نفس دلالات الأساطير العالمية. بحيث أن التفكير الميتافيزيقي للإنسان الأمازيغي، رأى أن الأرض هي رمز الخصوبة، باعتبار الأرض مكون من مكونات الحياة و الوجود، وإذا استقرانا المتن وجدنا أن النص الأسطورة يظهر ذلك بوضوح .أن الأرض كانت خضراء وخصبة، إلى غاية غضب إله أنزار على الفتاة، أين تفقد الأرض خصوبتها ،فيصيب الأرض الخراب وتذبل النباتات وتتشق الينابيع وتعم المجاعة ثم بزواج الفتاة من أنزار ،تعود الحياة إلى تعود الحياة إلى سابق عهدها .

[1] أمين سلامة :الأساطير اليونانية و الرومانية ، ص20

[2] امام عبد الفتاح امام :المعتقدات الدينية لدى الشعوب،ص38

ونلاحظ كل هذا من خلال النص الأسطوري والطقس الذي يقام لهذه الأسطورة

فالبداية تصور الأسطورة أن كل شيء عادي على الأرض، وأن الخصوبة موجودة.

الأرض كلها اخضرار، والماء يجري في الوديان والحياة عادية لكن بعد أن رفضت الزواج من إله أنزار يقرر نزع المياه عن الأرض، وهنا تفقد الأرض خصوبتها ويصيبها الجفاف، وهذا ما ندركه في توسلاتها لإله أنزار في الطقس:

حين غدت المراعي بور وجذب

الجماعة أفلست وجاعت[1]

ومن خلال هذين البيتين صورت لنا حالة الأرض، بعدما فقدت خصوبتها وأصابها الاصفرار وهذا ما صورته النسوة في خطاب الوداع للإله في الطقس الأسطوري:

رفقا الأرض كساها الاصفرار

لكي تثمر النعم والعلف

كما أثمرتم النسل والخلف [2]

ولم تكتفي النسوة بتصوير حالة الأرض، بل يأمرنه أن يعيد الخصوبة للأرض لتثمر من جديد وتعود إلى سابق عهدها

كما نجد إحدى الأغاني التي ترددها في طقس ايت زيكي يقول: ذلك في مقطع اخر

أيها ملك المطر

انهارت الأرض الأم

من أجلك تمسكت بالصبر[3]

[1] أمحمد جلاوي :التراث و الحداثة في أشعار لونيس ايت منقلات ص32

[2]المرجع نفسه، ص 32

[3] محمد أوسوس:طقوس الاستمطار الأمازيغية{البربرية}وأساطيرها بشمال إفريقيا، ص89

وهنا ندرك أن الأرض فقدت خصوبتها في هذا المقطع وندرك ان كل شيء عليها جاف ويظهر ذلك في مقطع آخر على فم الفتاة تقول:

أنا والأرض ضرتان

تزوجنا برجل دون أن نراه

أثداؤنا جافة

فكيف بإمكانها أن تدر[1]

ففي هذا المقطع نجد الفتاة تعبر صراحة عن أن الأرض فقدت خصوبتها ولا يمكنها أن تنبت الزرع والنبات

وفي آخر الأسطورة تقبل الفتاة الزواج بالإله أنزار،فتستعيد الأرض خصوبتها، والوديان سيلانها والأرض خيراتها، إذا اخضر الزرع ونبت العشب واينع الورد [2]

ولو نقوم بمقارنة بسيطة بين الأساطير الخصوبة العالمية، وأسطورة أنزار نجد أن الأرض هي رمز للخصوبة، وإنها تفقد الخصوبة ويصيبها القحط والجفاف وتستعيدها بعد مدة

لكن يختلف سبب فقدان الخصوبة ففي أساطير ديميترا و إزيس .....الخ يكون سبب هو موت الزوج الإله أو اختفاء البنت، فتقرر هذه الربات النزول إلى العالم السفلي لاستعادة المفقود، أما في أسطورة أنزار فرفض الزواج من إله هو سبب ،أين سوف يقرر الأخير أن يهلك الأرض بان ينزع عنها الماء ويوقف خصوبتها

وهنا ندرك أن أسطورة أنزار لا تقل شئنا عن أساطير الخصوبة العالمية

[1] محمد أوسوس:طقوس الاستمطار الأمازيغية{البربرية}وأساطيرها بشمال إفريقيا، ص89

[2] أمحمد جلاوي:التراث و الحداثة في أشعار لونيس ايت منقلات، ص30

## ب.الأرض رمز الأنوثة:

بعدما استعرضنا دلالة الأرض الأولى، سنحاول إظهار الأرض رمز الأنوثة في أسطورة أنزار، فهي تمتد إلى النموذج الإنساني حيث نجدها تتقمص صورة المرأة، وتزاحم هذه الأخيرة

في العلاقات الإنسانية، فنجدها تشاركها في الأمومة وضرة والزوجة وغيرها من الصفات.

وسنحاول استخلاص هذه الصفات الأنثوية من أسطورة أنزار.

عند العودة إلى أسطورة أنزار نجد أن الفتاة أو "عروسة أنزار"ترمز إلى الأرض و أنزار يرمز إلى السماء، واتصال أنزار السماوي و الفتاة الأرضية هو المسؤول عن الخصوبة و الاخضرار بما يعني ان هطول المطر إنما ينجم عن زواج الكوني[1]

كما نجد أن الأرض ترمز إلى الأم التي يخصبها مطر السماء، فنجد النساء في ايت زيكي حيث ينتهين من طوافهن بالعروس حول الضريح يرددن :

أَيُهَا المَلِك المَطَر

إِنْهارَت الأَرْض الأُمْ

مِنْ أَجْلِكَ تَمَسَكت بالصَبر[2]

كما نجدها كذلك ترمز إلى أنها ضرة الفتاة المجسدة في الطقس

أَنَا والأَرْضُ ضَرَتَان

تَزَوَجْنَ بِرَجُل دُونَ أَنْ نَرَاهُ

أَثْدَاؤُنَا جَافَةُ[3]

[1]محمد أوسوس: طقوس الاستمطار الأمازيغية {البربرية}وأساطيرها بشمال إفريقيا ، ص89

[2] المرجع نفسه، ،ص89

[3]المرجع نفسه، ص89

# الفصل الرابع

## رمز المرأة في أسطورة أنزار

## 01رمز المرأة في الأديان:

### أ. رمز المرأة في الإسلام:

### 1. رمز المساواة:

بعد أن استنزفت كل حقوق المرأة قبل مجيء الإسلام، وبعد أن مورست عليها كل أساليب الظلم والعنف كـــ"دفن البنات من الكرامات"[1]، فكان الوأد أبشع ما مورس عليها.

أتى الإسلام وأعطى لها من الحرّية والحقوق الكثير، وذلك بمساواة حقوقها وواجباها مع الرّجل مع مراعاة الفروق الجسديّة والنّفسيّة.

كما خصّ القرآن النّساء بأكثر من ربعه، ونزلت سورة باسمهن وهي سورة "النّساء"

والمساواة تتجسّد في معاملتها بالحسنى. قال الله تعالى:" الطَّلاَقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُواْ مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلاَّ أَن يَخَافَا أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلاَ تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ"[2]

ولكي يقضي القرآن الكريم على كلّ تفرقة أساسها الجنس، نادى بأهداف عامّة داعيا البشر كافّة إلى تحقيقها ومن بين تلك الأهداف القضاء على الاستغلال بكافة أشكاله، والظّلم الاجتماعي بما فيه من حرمان، إساءة معاملة، الفساد، إتباع الشّهوات، الدّنس الاجتماعي والفسق. قال تعالى: " يا أيّها النّبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على ألا يشركن بالله شيئا، ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن"[3]

ويؤكد أيضا أن مصير الرّجل والمرأة يتحدّد وفق مبادئ العدل والتّقوى والمعروف والبرّ فالجنّة للمرأة والرّجل وليست فقط للرّجل.

---

[1]– عبد العزيز جاريش: الإسلام بين الفطرة والحرّية، دار الهلال، مصر، 1952، ص32.

[2]– سورة البقرة، الآية228.

[3]– سورة الأنعام، الآية140.

"فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإنّ الله يتوب عليه إنّ الله غفور رحيم"[1] كذلك: "فاستجاب لهم ربّهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض"[2]

وكذلك نجد في الحديث النّبوي الشّريف، خصّ المرأة بمكانة عالية، فالرّسول صلى الله عليه وسلّم يذكر عن زوجته خديجة رضي الله عنها، في قوله: "نصرتني حين خذلني النّاس، وآوتني حين طردني النّاس"[3] كذلك يقول: "إنّها حبيبة نفسي من الدّنيا وقرّتها الصّلاة وهي قرّة عيني"[4]

واعتبر بذلك عصرا ذهبيا للمرأة.

" من عمل صالحا من ذكر وأنثى وهو مؤمن فنحيينه حياة طيّبة ولنجزينّهم أجرهم في أحسن ما كانوا يعملون"[5]

## 2. رمز الكيد:

الكيد صفة في المرأة تأتي من غيرة أو حسد، وذلك من طبيعتها. أما كيد النّساء فقد ورد في قوله تعالى: "إنّ كيدكن عظيم"[6]، وكيد النّساء أعظم من كيد الشّيطان، ويتّضح ذلك في قول الله تعالى: "إنّ كيد الشّيطان كان ضعيفا"[7]، وقد نسب الكيد لله جلّ في علاه ونسب للشّيطان، ونسب للمرأة وللبشر عموما كالسّحرة والكفّار.

فلقد وصف الله تعالى كيد النّساء بأنّه عظيم، وكيد الشّيطان بالضّعف.

وقد أورد الله تعالى في القرآن الكريم قصّة سيّدنا يوسف مع امرأة العزيز في سورة يوسف عليه السلام، حيث حاولت أن تكيد به، فقد كانت لا تنجب بسبب عقم زوجها ، و لما كان يوسف يتمتع بجمال باهر و حسن في الخلق و الخلقة ، فتنت به و أحبته حباً شديداً، و أخذت تتقرب منه و تبدي له

---

[1]– سورة النور، الآية12.

[2]– سورة آل عمران، الآية159.

[3]– حسين السّيد علي القبانجي النحفي: الجواهر الرّوحيّة، مطبعة النّجف، 1955، ص190.

[4]– نفس المصدر، ص189.

[5]سورة النحل، الآية97.

[6]– سورة يوسف، الآية28.

[7]– سورة النساء، الآية 76.

حبها ، إلا أن يوسف عليه السلام كان دائماً يعرض عنها امتثالاً لأوامر الله و خوفاً من عصيانه اشتد هيام هذه المرأة بيوسف ، و هاج بها الغرام لدرجة أنها راودت يوسف في حجرته ، إلا أن يوسف أبى وأراد الخروج من المكان ، فمزقت له ثوبه من الخلف ، و عندما وصل إلى الباب و فتحه وجد زوجها عند الباب، و قد وصف ذلك الموقف في القرآن الكريم في الآيات التالية من سورة يوسف في قوله تعالى:" وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذ الله إنّه ربي أحسن مثواي إنّه لا يفلح الظالمون"[1]

صارح يوسف عليه السلام زوج المرأة بالأمر، و في تلك الأثناء ، دخل رجل لبيب و فطن وعندما علم بالقصة بيّن أنه لبيان الحقّ سيرون قميص يوسف إن كان قد شق من الخلف ، فهو صادق وهي كاذبة ، و إن كان قد شق من الأمام فهي الصادقة و يوسف من الكاذبين، إلا أن الواقع كان أن القميص قد شق من الخلف ، مما يدل على أن امرأة العزيز هي من راودت يوسف و لاحقته وقد بينت الآيات الكريمة من سورة يوسف ذلك بما يلي: "هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ، وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ، فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ، يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ"[2]

من خلال هذه القصّة تتضح لنا رمزية الكيد في المرأة.

## ب. رمز المرأة في المسيحية واليهودية:

### 1. المرأة رمز الخطيئة:

نجد في آراء وكتابات آباء الكنيسة تناقضا في رؤيتهم للمرأة "لو فتّشنا كتابات الآباء عن المرأة لما وجدنا مدحا خالصا أو ذمّا دائما بل سنجد الاثنين معا حتى من نفس الشّخص نرى النّقيضين"[3]

حيث أنّهم لم يعرفوا نموذجا واحدا للمرأة بل نموذجين يتمثلان في حواء ممثلة الشر والنّقمة ومريم ممثلة الخير والنّعمة.

---

[1]– سورة يوسف، الآية23.

[2]– سورة يوسف، الآية 29/28/27/26.

[3]– القس أفرام سليمان متى:المرأة عبر التاريخ، ص40.

ويدخل في الخطيئة الإغواء والإغراء وغير ذلك من شرور المرأة، فالمرأة عند المسيحية (بعيدا عن آراء اليسوع) هي نجسة تمثل الشرور والخطايا (ولكني أخاف كما خدعت الحية حواء بمكرها، هكذا تفسد أذهانكم عن البساطة التي في المسيح)[1]

والخطيئة أيضا تمثّل العصيان كذلك، فالمرأة هي من أغوت آدم، وبالتالي الخروج من النّعيم "لأنّ آدم خلقه الله أولا ثم حواء وما أغوى الشرير آدم، بل أغوى المرأة فوقعت في المعصية"[2]

وبهذا عوملت النّساء على أنهن اكتسبن فعلة حواء الدّنيئة؛ أي خزي الخطيئة الأولى، فوبّخن على ذلك. "أنتن بوابة الشيطان، وأنتن أول من أكل من تلك الشجرة، وأنتن أول من عصى الناموس الإلهي، وأنتن اللاتي حرّضتن ذلك الذي حتى الشيطان لم يجرؤ على الاقتراب منه، وانتن سحقتن صورة الله بكل استخفاف أي آدم بسبب عقوبتكن أي الموت"[3]

أما في اليهودية وفيما يخص حواء، فلدى الحاخامين مقولة مشهورة هي: "البطالة تقود إلى الفساد"[4]؛ والمغزى من القول هو ضرورة عمل المرأة لكي تنشغل عن الشّر ولا تعقد معه تحالفات.

## 2. المرأة رمز النجاسة:

أعطى الكتاب المقدس للمرأة منزلة متدنّية عن الرجل في الكثير من المواضع في مجتمعها وأحسن مثال على ذلك وضعيّتها في الكنيسة.

وتمثيل المرأة على أنّها كائن نجس، راجع لفترة حيضها كذلك ارتباط مدلوليتها بالجنس والزنا. فنجد في الكتاب القديم كثيرا من النّصوص التي تصف أو تعطي أحكاما عن المرأة بطريقة مذلّة لها. "وقال الرّب لموسى: قل لبني إسرائيل: إذا حبلت المرأة وولدت ذكرا تكون نجسة سبعة أيام كما في

---

[1]– الإصحاح الحادي عشر: كتاب كورنيثورس الثاني،

[2]– سفر التكوين (13–14).

[3]– إليزابيث أ.كلارك: الآباء والمرأة (سلسلة آباء الكنيسة)، ترجمة إدوارد وديع عبد المسيح، دار الثقافة، القاهرة، 1998، ص34.

[4]– أحمد الشّلبي: اليهودية، مطبعة المعرفة،1974، ص306.

أيام طمث عليها تكون نجسة (...) وإذ ولدت أنثى تكون نجسة أسبوعا كما في طمثها ثم تقيم ستّة وستين يوما في دم تطهيرها"[1]

والملاحظ هنا أنّ في ولادة الأنثى تزداد فترة بقاء المرأة نجسة رغم أنّ فترة النّفاس والدّم الذي يسيل منها هو نفسه مع ولادة الذّكر، وهذا إن دلّ على شيء إنّما يدلّ على مكانة ووصف الأنثى في الكتاب.

ونجد الكثير من النّصوص التّي تحدّثت عن نجاسة المرأة منها أيضا: "وإذا كانت المرأة لها سيل وكان سيلها دما في لحمها، فسبعة أيام تكون في طمثها، وكلّ من مسّها يكون نجسا إلى المساء."[2]؛ فهي بذلك لا تكون وحدها فقط النّجسة بل بعلها أيضا ينجس منها.

ونجد كذلك في نفس المعنى: "وإذا حدث مرجل ارتجاع زرع يرحض كل جسده بماء، ويكون نجسا إلى المساء"[3]

وكل هذه النّصوص تتحدّث عن نفس المعنى الواحد وهو المرأة في ذاتها نجسة، ومن لامسها يصبح نجسا.

## 02.المرأة في المعتقد الشعبي:

المرأة هي تلك الهبة التي وهبها الله برقتها وحنانها، فهي الأم والأخت والزوجة والبنت وتعتبر مصدر الأمان والاستقرار العاطفي في محيطها الأسري، نظرا لأهميتها في المجتمع، فهي تعتبر نصف المجتمع الإنساني، هذا المجتمع الذي لا يمكن أن يتقدم إنسانيا ويتطور حضاريا وثقافيا واجتماعيا، إلا بتقدم المرأة ورقيها.ولقد صور الخيال الشعبي المرأة عامتا على أنها خلقت لتلبي مختلف رغبات الرجل بدون استثناء، وهنا نجد أنه صور المرأة في اغلب الأحيان ذليلة وجاهلة ومغلوب على أمرها ولا حول لها ولا قوة لها وتجدها مضطرة حكما بسبب وضعها، بمثل هذا المجتمع أن تلجا إلى الخبث والمكر والدهاء والخداع والخيانة، وأن تستغل ذكائها من أجل الشر والسعي وراء المعرفة والفضول

[1]– اللاوين [1:12]

[2]– اللاوين[19:15]

[3]– اللاوين [17:15]

وتتكلم و تثرثر دائما كما يرى أن المرأة تستطيع إن تكيد كيدا ليس بمقدور الرجل أن يجاريها أو يضاهيها فيه.

## أ. المرأة رمز للمسؤولية وركيزة أساسية في البيت:

المطلع على ثقافة الشعبية للمجتمع الجزائري، التي أخذت المرأة كموضوع لها، يجد أنها تتطرق إلى هذه الأخيرة كأم وأخت وجدة وخالة وعمة وزوجة. ويعتبر موضوع المرأة كزوجة أهم ما اهتمت به المخيلة الشعبية، لما تتقلده من مسؤوليات ولأهميتها داخل البيت وخارجه، أهميتها ودور الذي تلعبه في تكوين العش الزوجي فنجد الخيال الشعبي يظهر هذا في هذه المثل القبائلي التالي

Argaz d elsas, thametouth d ajeggu alema–s

في هذا المثل يظهر لنا الرجل هو أساس البيت إلا أن المرأة هي العمود الذي يتوسط السقف ويمنعه من السقوط، وهنا يظهر المثل أن المرأة ركيزة رئيسية في البيت، لا يمكن الاستغناء عنها.

ووصل الخيال الشعبي إلى وصف البيت الذي لا توجد فيه المرأة كالبحر بدون الحوت من جهة ليظهر استحالة الأمر بذلك الوصف ولإظهار اهميتا في البيت من خلال ما تقوم به من أعمال ويظهر دورها يقول المثل:

"Akham melba thametouth am levhar melba l'houth"

كما نجد مثل عربي ذهب في نفس السياق" البِيتْ بْلا مُلَاتُو لَخْلَا ولا نْباتُ

## ب. المرأة رمز للاقتصاد:

وللمرأة دور اقتصادي داخل البيت وهذا ما اكسبها دلالة الاقتصاد ومعرفة تسيير شؤون بيتها،بطريقة حكيمة، لأن في القديم كانوا يعتمدون على ما تجود به أرضهم ،من قمح والتين وغيرها،وعلى المرأة أن تسير هذه الكمية ،وعلى المرأة تسيير هذه الغلة التي جنوها حتى الموعد الحصاد التالي ، نجد المثل القبائلي عبر عن هذا Argaz targa tamatut tamda بمعنى الرجل ساقية والمرأة بحيرة

.

## 03 رمز المرأة في الأسطورة:

### أ. المرأة رمز كقربان:

عرفت الحضارات القديمة عدة طقوس، خلال مختلف المراحل التاريخية التي مرت بها الإنسانية، ومنها التضحية بالبشر، أو تقديمهم كقرابين، وهذه الفكرة قديمة، قدم الوجود ويكاد الأمر أن يكون جزءا أصيلا من ثقافات وعادات الشعوب. ويرجع سبب هذه العادة إلى الخوف من غضب الطبيعة، وعدم فهم ماهية الوجود وأصله، و التسليم بوجود قوة خارقة أو إله عظيم وجب التقرب منه،ولا يحصل ذلك إلا إذا قدمت له المنح والعطايا ومن هذه العطايا نجد النساء التي قدمن كقرابين لتأكيد الإيمان، وسوف نستعرض في هذا الجزء بعض الحضارات التي قدمت المرأة كقربان لتحقيق غاية ما.

والبداية تكون بمصر القديمة، فنجد عندهم أن المرأة قدمت كقربان بشري من اجل أن يرتفع منسوب مياه النيل ويفيض النهر في موعده لكي يتجنبوا الفيضان المدمر ــ فأسطورة "عروس النيل"" يتمثل في رمي فتاة جميلة إلى النهر المذكور[1]"فتروي أن المصريين القدامى اعتبروا النيل إله الخير والنماء والخصب باعتبار شريان الحياة في مصر، وكان يفيض خيرا، وتزرع البلاد بكل أنواع المحاصيل.

ولكن في سنة من السنين أبى النيل أن يفيض، وحبس مياهه وحل القحط في أرض مصر فاستشاروا الكهنة فقال أن النيل غاضب. لهذا أوقف ماءه، وهو يريد الزواج وتكون له ذرية، فاختار له الكاهن أجمل فتاة في مصر بعد المراسيم يقومون بتقديم الفتاة للإله، تقوم الفتاة برمي نفسها في النيل وهي سعيدة راضية لأنها ستلقى زوجها.

أما عند الإغريق فلا يختلف الأمر كثيرا عن المصريين، نجد أن المرأة تقدم كقربان لإرضاء الآلهة وتجنب غضبها، في إلياذة هوميروس نجد ملك الإغريق أجاممنون حائر من أمره، فأسطوله راسيا في جزيرة أوليس "ولم يبق إذن على الأسطول إلا يقلع إلى طروادة فيدمرها تدميرا، لكن البحر

[1] قصي منصور عبد الكريم التركي:جوانب من الجذور من الحضارية لأساطير بلاد الرافدين وأثرها في الثقافة الإفريقية القديمة، ص18

هادئ ، ورياح نائمة ولا بد لهذه السفن المثقلة بالعدة و العديد من قوة هائلة تدفعها "1 للاشتراك في حرب طروادة .

وهنا يرسل الملك اجامننون رسولا إلى المعبد ليعرف القربان الذي توده الآلهة لإطلاق الرياح فكان ما إرادته الآلهة هو "شرب من ماء الحياة القرمزي، المتدفق في عروق عبادها المخلصين2" فكان طلب الآلهة أن تقدم ابنة الملك أجاممنون أضحية "لابد من تقديمها قربانا، لا بد أن يطل دمها على مذبح ديانا"3 برغم من حبه الكبير لابنته، كان مضطرا لتلبية طلب الآلهة، وتمنحه هذه الأخيرة النصر في حرب طروادة.

وفي الهند نجد عادة وهي التضحية بالمرأة الأرملة، وهي حرق الزوجة الحية مع زوجها عندما يموت كنوع من التضحية الزوجية والإخلاص الأبدي، وتسمى هذه العادة "ساتي" وتعني باللغة الهندية "المرأة الطاهرة أو المقدسة"، وبالبحث عن أصل هذه العادة في الثقافة الهندية نجد أصولها الأولى راجعة زوجة الإله شيفا التي أحرقت نفسها أمام الحاضرين احتجاجا على أبيها الإله داكشا عندما تجاهل زوجها، ولم يدعه إلى وليمة كبيرة أقامها لكبار الآلهة، وقامت بهذا إخلاصا لزوجها.

ويؤمن الإنسان الهندي بأن "الأجسام تحرق بعد الموت لأن ذلك يعطي المجال لروح لكي تتخلص من الجسد والوصول بأسرع طريقة إلى التجسيد الأعلى 4" والمرأة صالحة التي تلتحق بزوجها الميت إلى النار سوف تحرر نفسها من معانات البعث و الولادة من جديد أي تناسخ، وباعتبار الروح خالدة لا تموت ولا تولد ولكنها ببساطة تنتقل من جسد إلى أخر، ويعود سبب في ذلك إلى رغبة الروح في الحصول على الملذات والمتع الدنيوية، لكن بعد عدة مرات من الموت والولادة، تبدآ الروح محدودية السعادة التي توفرها هذه الملذات، تبدأ البحث عن السعادة عن طريق التمرينات الروحية حتى تصل إلى أسماها، وهنا لن ترغب الروح في الحياة مجددا، ولن تنتقل إلى جسد جديد، ولن تولد مرة أخرى، وستتخلص من معاناة التناسخ ، وتذهب إلى الجنة الأبدية، وبمرافقة الزوجة لزوجها الميت

---

1–هوميروس ،الإلياذة، ترجمة خشبة ديريني، دار التنوير لطباعة والنشر ، ط01،مصر،2014،ص67

2– المرجع نفسه ،ص77

3– المرجع نفسه ،ص68

4–الأب صبري المقدسي:الموجز في المذاهب والأديان، جزء الأول، مكتبة الأستاذ سركيس أغاجان لنشر، ط01،2007،ص33

يصلان مباشرة الى هذه المرحلة دون مرور بالتناسخ المستمر، وهو كذلك تجديد عهد الزواج بين الزوج وزوجته في عالم الاخر.

ويعتبرون المرأة التي تقوم بالتضحية مع زوجها أنها مخلصة وطاهرة وشريفة.

أما في الحضارة السومرية نجد كذلك النساء تقدم كقرابين للآلهة من أجل إخصاب الأرض لكن تختلف عن القرابين المصرية واليونانية والهندية، أين تقدم المرأة كاملة إلى الإله، عند السومريين نجد طقس الجنس الجماعي أين "كان يمارس في المناسبات الدينية للإلهات الإناث، في أيام محدودة، بجوار معبد الإلهة في أيام محدودة ، بجوار المعبد الإلهة"1 وكان التضحية بالبكرة المرأة داخل الهيكل الإله "هو أفضل قربان يمكن تقديمه للإلهة المخصبة الشبقة الولود المنجبة مانحة الحياة"2 وكان هذا الفعل في تلك الأزمنة واجبا دينيا، يقام تقريبا من الإلهة الأم ، وليس فسق شهواني كما في زمننا هذا.

وكان على المرأة مهما كانت درجتها الاجتماعية،"غنية أو فقيرة أن تستسلم مرة في حياتها لذراعي رجل غريب في معبد ميليطا أي عشتروت" [3] وكانت تأخذ جراء هذا الفعل مقابل مادي تمنحه للإلهة، فقد كان في معابد عشتار صحن في هيكله يزدحم بالنساء اللاتي ينتظرن العمل بهذه العادة .

كما كانت أشرف العائلات وأنبلها تكرس بناتها لخدمة الإله أناينيس حيث يعملن كبغايا مدة طويلة قبل أن يتزوجن، وكان الهدف من ذلك مرضاة الإلهة الأم التي تمثل في شخصيتها قوى التناسل في الطبيعة وذلك لضمان إثمار الأرض، وتكاثر الإنسان والحيوان وقصد تحريض القوى الإخصابية في الأرض الأم.

مع مرور الوقت وتطور الإنسان السومري بدأت محاولات التخفيف من هذا القربان، حيث شكلت طبقة معينة من النساء مخصصات للقيام بهذا الطقس القرباني فأصبحت أضحية وفداء لبقية النساء وكان ذلك شرف لهن، أما بقية النساء فكان لابد أن يتقدمن لعشتار بقربان بديل عن الجنس مع الغريب فكان قربانهن قص شعرهن بدلا من منح أجسادهن.

---

[1]–سيد القمني: الأسطورة والتراث، ص119

2–المرجع نفسه ، ص 119

[3]– سيد القمني: الأسطورة والتراث، ص 119

وفي عيد رأس السنة الجديدة، في وقت عودة عشتار مع زوجها من عالم الموتى، كان يقام " احتفال عظيم يقوم فيه الملك بدور الإله الأكبر، بينما تقوم القديسة الكبرى بدور الإلهة عشتار ويضاجعها على سرير الإله، فتتحقق الخصوبة، ويعم الرخاء[1]".

## ب.المرأة رمز للآلهة:

لقد صورت الأساطير المرأة على أنها كائن يسبب الدمار والخراب ويعيث فسادا أينما حل ووجد كما أبدعوا في خلق كائنات غريبة ومخيفة تشبه النساء وأطلقوا عليها تسميات مختلفة لكن هذا لا يمنع من وجود بعض الأساطير المنصفة للأنوثة والتي صورت المرأة بصورة إلهة سنتطرق إلى ايدولوجية المرتبط بالمرأة الآلهة في ثقافات الأمم.

في التفكير الميثولوجي السومري نجد أن الإنسان هذه الحضارة ، جعل من آلهته الكثير منها من الجنس الأنثوي، وبالبحث عن سبب ذلك نجد انه يعتبر "الإخصاب والعطاء والميلاد من خواص الأنثى"[2]، وهذا ما جعله يعتبر هذه الآلهة قوة الأساسية ومحركا كونيا لأحداث العالم ، كما أنه تعجب من عملية الولادة التي هي من خصائص المرأة لوحدها حسب اعتقاده، كما تعجب من دورة الحياة النباتية، فصنع لنفسه إلهة الخصوبة عشتار حيث ترمز إلى الإلهة الأم الأولى المنتجة للحياة ،كانت الربة العذراء عشتار معبودة تقدم لها القرابين وتقام طقوس الجنس المقدس في معابدها وتهب العذراوات المقدسات عذريتهن أضحية لها لأول عابر ، فصوروها في شكل "شابة ممتلئة الجسم، ذات صدر نافر، وقوام جميل، وخدَّين مُفعمين بالحيوية، وعينين مُشرقتَين. يتوفَّر فيها، إلى جانب جمالها الأخّاذ، سمو الروح، مع رهافة الطبع، وقوة العاطفة، والحنو على الشيوخ والأطفال والنساء. في فمها يكمن سرُّ الحياة، وعلى شفتيها تتجلى الرغبة واللذة، ومن أعطافها يعبق العطر والشذا. يكتمل بحضورها السرور، ويشيع مع ابتسامتها الأمن والطمأنينة في النفوس. غالبا ما نشاهدها وهي تجوب الحقول بخفَّة ورشاقة، فتتفجَّر الينابيع خلفها بالماء والعطاء، وتُزهر الأرض بالسنابل والنماء.

---

[1]– سيد القمني: الأسطورة والتراث، ص 122

2–المرجع نفسه، ص72.

ونجد في الأساطير السومرية أن الكون خلق من جسد الأنثى حين يقوم الإله مردوخ حفيد الأم الأولى تعامة بشق جسدها إلى نصفين ليقيم منهما السماء والأرض

لم يختلف اليونانيون كثيرا، فلقد انتشرت عندهم عبادة وتقديس الإلهة الأنثى " لأنها تمثل قوة الخصوبة في الطبيعة، وذلك إسقاط النموذج الأنثوي، الأصلي عليها"[1] فأطلق عليها عدة أسماء فهي "الأم" و"الأم الآلهة" و"الأم العظيمة" وكما أطلق عليها فيما بعد "أم الآلهة" وكانت عقيدة الفترة الأولى عبادة الخصب حيث ارتبط بالقمر، لما للقمر من ارتباط بالطمث وقوة النساء"[2]

## 04. رمز المرأة في أنزار:

### المرأة قربان للإله أنزار:

الملاحظ في ما تحمله دلالة المرأة في أسطورة أنزار، يدرك أنها قدمت نفسها قربانا في سبيل نزول الأمطار وعودة الخصوبة إلى الأرض، فضحت بنفسها في سبيل الآخرين بهذا الزواج، وتجسد هذا في عدة دلالات نجدها في الأسطورة.

في جميع الأساطير العالمية نجد القرابين البشرية المقدمة للآلهة تكون أطفال لقلة حيلتهم وعدم فهمهم لما يدور حولهم، ولبراءتهم، وأسرى أو مجرمين مغلوبين على أمرهم، أو نساء لقوة مشاعر التضحية عندهن بشكل عام، وفي هذه الأسطورة نجد القربان هي فتاة.

الشرط الواجب أن تتوفر في الفتاة أو عروسة أنزار هي في حد ذاتها دليل أن الفتاة هي قربان للإله أنزار بحيث "أن تكون من اشرف نساء القرية، أن تكون ابنتها أي الفتاة أو عروسة على قدر من الجمال والبهاء وتكون نيتها صادقة لا يشوبها كدر و لا تعكير"[3]

كما نجد في طقس أنزار عندما تقدم الفتاة إلى زوجها إله المطر في صورة التي يرتضيها وبعد طواف العروس بالمعبد أو المسجد وهي طالبة قطرات من الماء من إله أنزار وهي تردد

يَا إِلَهُ الْأَمْطَار، مَنُو عَلَيْنَا بِالمِيَاه

---

[1]–امام عبد الفتاح إمام:المعتقدات الدينية لدى الشعوب،ص 49

[2] المرجع نفسه ، ص51

[3]– امحمد جلاوي :التراث والحداثة في أشعار لونيس ايت منقلات ،ص31.

وَمِنَا لَكُم الأَرْوَاح فِدَاء وقُرْبَان.1

وفي أواخر الطقس نجد عدة مناجاة طويلة تنطق بها النسوة بشكل جماعي أو ترددها الفتاة، وهي تذكره أن الاقتران الحاصل بين العروسة والإله أنزار، كان من أجل إعادة الخصوبة والماء إلى الأرض. وإرضاء

وتجنب لعنته القحط التي فرضها عليهم جراء عدم قبول زواج منه فنجد

الإله أ أَنْزَار أَيُهَا الإِلَه

سِرَك غَائِر أَوْحَد

فزت بفتاة كالياقوت

شعرها حرري ممد

خذها ألهمها اجنحة

وفي غور السماء بها أصعد

من اجل حسنتها الفتان

ارويت كل ظامئ عطشان.[2]

ففي هذه الأبيات نجد أن النسوة يمدحن أنزار تارة، ويمدحن العروس مظهرات جمالها، طالبات أن تحل هذه اللعنة، بعدما اخذ قربانه.

ثم نجد مقطع آخر تتوجه فيه الفتيات بأقوال الوداع لإله الأمطار آملات أن يتقبل الفتاة عروسا, ودائما أن يعيد الاخضرار الأرض.

فزنا بالمطلب المقصود

قران العروس بالند المنشود

---

1– امحمد جلاوي :التراث والحداثة في أشعار لونيس ايت منقلات ،ص 31.

2– المرجع نفسه، ص 32

الإله إل الأرض ينزل

و العروسة راضية به بعل

أيها الإله أعد إلينا الأمطار

رفقا, الأرض كسها الاصفرار

لكي تثمر النعم و العلف

كما أثمر تم النسل و الخلف.[1]

[1]– امحمد جلاوي :التراث والحداثة في أشعار لونيس ايت منقلات، ص33

# الخـــاتمـــة

**خاتمة:**

في ختام هذا البحث الذي حاولنا فيه إبراز أهم الرموز التي تزخر بها أسطورة أنزار القبائلية بل هي أساس هذه الأسطورة خلصنا إلى مجموعة من النتائج نحصيها في مايلي:

1- الرمز يستمد قيمته من مجموع العلاقات بين الخيال و الحقيقة و بين الحقبات الزمنية و غير ذلك، و الرمز يتغير مدلوله من متلقي لآخر.

2-مصطلح الرمز تعرض للكثير من التناقض في فهمه وشرحه، فنلاحظ أن الكثير من الباحثين قد أشاروا إلى تعدد مفاهيم "الرمز" ويعود ذلك إلى تعدد الحقول المعرفيةالتي تعالجه، منها علم النفس،وعلم الاجتماع، واللسانيات وصولا إلى البلاغة والأدب والحقل الذي يدرس فيه الرمز هو الوحيد الكفيل بتحديد مفهومه وإعطاءه أبعاده.

3-كان الإنسان القديم أكثر انفتاحا على المقدس وأعمق مشاركة و لهذا زخرت أساطير بالرموز الدينية الكثيرة.

4-الرمز بالنسبة للشاعر محاولة للتعبير، ولكنه بالنسبة للمتلقي مصدر إيحاء، فالرمز غير قابل للاستنفاذ، وقراءته من زوايا مختلفة. وهنا توجب أن يكون المتلقي مبدعا يمتلك القدرة على الفهم.

5-تمثل الأسطورة عالما ساذجا،بريئا ،يقبله الناس و يلتفون بها في كل زمان و في كل مكان .

6-تستخدم الأسطورة اللغة الرمزية مفعمة بالأسرار حيث يمكننا من خلاله التعرف على عالم الأسطورة الزاخرة بالرموز و ذلك للوصول إلى قضايا البشر التي تجلت في قالب الرمز.

7- الأسطورة هي قصة، تحكمها مبادئ السرد القصصي لها حبكة وعقدة وشخصيات والى ما ذلك تصاغ في معظم الأحيان في قالب شعري يساعد على حفظها وترتيلها.ويتشابهالنص الأسطوري بالرغم من الأزمان الغابرة في التاريخ، إذ ينتقل عبر الأجيال ,وذلك راجع تأثيره في الجماعة وتناقله عبر الأجيال. وليس للأسطورة كاتب معين, فهي من إبداع المخيلة الجماعية.والأدوار الرئيسية في الأسطورة هي للآلهة و أنصافالآلهة,أما دور الإنسان فهو مكمل.وتتميز موضوعات الأسطورة بالجدية و الشمولية منها التكوين, والأصول والحياة والموت.وتجري أحداثالأسطورة في الزمن المقدس الموغل في القدم وليس في الزمن الحالي.

8- الأسطورة مرتبطة بنظام ديني معين, هدفها توضيحه، وتطبيق طقوسه،وتتمتع الأسطورة بقدسية وسلطة عظيمة على عقول الناس و نفوسهم أيضا, تضاهي سلطة العلم في العصر الحديث.

9- يميز الأسطورة عن غيرها من الأجناسالأدبية جانبها المقدس وارتباطها بالدين. عكس الخرافة التي لا علاقة لها بالقداسة، بل هي قصة خيالية مبالغ فيها لا وجود للآلهة فيها وهو نفس ما نجده عند الحكاية الشعبية التي تستمد شخصياتها من الواقع التي تحاول بها محاكاة أمال الشعوب وتطلعاتهم بعيدا عن القداسة .

10-الماء رمز للخصوبة في أسطورة أنزار وهذا مايظهر جليا في الطقس الذي تهرب فيه الفتيات العازيات والخوف من أن يصيبهن الماء الذي ترميه العروسة خوفا من اللعنة التي قد تصيبها جراء تبلل من الماء وخوفا من الإنجاب باعتبارهن عازبات لم يتزوجن بعد.

11-في أسطورة أنزار الماء يرمز للحياة، يستطيع أن يبعث الحياة في كون جامد لا حركة فيه بعدما أصابه الجفاف والقحط ليتحول إلى قوة تستطيع الجريان تحرك المطلق في أعماقها من حالة السكون إلى دينامية الخلق على المستوى الطبيعي.

12- الأرض في أسطورة أنزار رمز الخصوبة والنماء، وأنها مصدر خلق النبات و الجماد والأرض مصدر الأمومة،وأن منها خلق الإنسان في مختلف الحضارات وأساطيرها .

13- تمثل المرأة في أسطورة أنزار قوة الخصوبة في الطبيعة، وذلك إسقاط النموذج الأنثوي الأصلي عليها فأطلق عليها عدة أسماء فهي "الأم" و"الأم الآلهة" و"الأم العظيمة" وكما أطلق عليها فيما بعد "أم الآلهة" وكانت عقيدة الفترة الأولى عبادة الخصب حيث ارتبط بالقمر، لما للقمر من ارتباط بالطمث وقوة النساء.

# الملاحق

**-ملحق- المدونة:**

**نص الأسطورة:**

سنحاول في هذا الملحق الخاص بالأسطورة أنزار أن نعرّف بهذه الأسطورة نصار طقسا و أن نتتبع خطوات تطورها عبر الأزمان و العصور و إظهار تغيرات الحاصلة على هذه الأسطورة و سوف نعتمد على رواية شفهية و بعض المصادر بين يدينا.

يعود الفضل في معرفة نص أسطورة أنزار إلى باحث جونوفوا Genevois الذي عثر على رواية في منطقة ايث زيكي الواقعة في منطقة القبائل الجزائر كما أن إميل لاووست Emil Laoust خصص قسما مهما من كتابه Mots et chose berbère يظهر فيه كيفية أداء شعائر هذه الأسطورة.

سنحاول عرض نص موحد لهذه الأسطورة من خلال مختلف الروايات الشفهية و نص جونوفوا Genevois و ما أورده محمد جلاوي في كتابه التراث و الحداثة في أشعار لونيس أيت منقلات.

في قديم الزمان، كان هناك اله اسمه أنزار و هو اله المطر و الماء تعود على المرور قرية في جولاته اليومية فيها واد، فيرى في هذا الواد فتاة رائعة الجمال تتألق حسنا في الأرض كالقمر في السماء، فكان من عادة هذه الفتاة أن تستحم في الواد فضي البريق، فأحبها و أرادها للزواج و لكن كلما حاول التقرب منها ليعين عن مشاعره نحوها، خافت منه و هربت منه، و في أحد الأيام قرر إخبارها بمن يكون فقال لها:

- ها أنا إخترقت السماوات

- أيها النجم الأوحد

- أنعمي ببهائك فصياه

– و إلا قطعت عنك المياه[1]

وبترجمة مغايرة:

– ها أنا أشق عنان السماء

– من أجلك يا نجمة بين النجوم

– فامنحيني من الكنز الذي وهبته

– و إلا حرّمتك من الماء[2]

وقعت الفتاة في حيرة أمام خطاب اله العاشق، إما الرضوخ و القبول و الاستسلام لأمر الواقع أو الرفض و تقبل النتائج التي تنجم عن هذا الفعل فأجابته قائلتا:

–فضلك يا اله الأمطار

– صاحب التاج المرجان

– أنا لك الغير هداني

– لكن في من الغواني[3]

و بالترجمة مغايرة:

– أتوسل إليك يا ملك المياه

– يا مرصع جبهته بالمرجان

– أني نذرت نفسي لك

[1]أمحمد جلاوي: التراث و الحداثة في أشعار لونيس ايت منقلات، ص 29

[2]محمد أوسوس: طقوس الاستمطار الأمازيغية البربرية و أساطير بشمال أفريقيا، ص 88.

[3]امحمد جلاوي: التراث و الحداثة في أشعار لونيس ايت منقلات 2007 ص 30.

– بيد أني أخشى الأقاويل[1]

و بعد سماعه هذه العبارات، أثارت كبرياء الإله، فأدار خاتمهن فجفت مياه الوادي و انقطع سيلان الماء، هنا أدركت الفتاة فضله و عظمته فأصدرت الفتاة صيحة و تفجرت عيناها بالدموع، فالماء هو روحها فخلعت عن جسدها ثوبها الحريري، و ظلت عارية، لترضي بها الاله و توجهت اليه بنداء و هي تنظر إلى السماء:

–انزار يا أنزار

– ايها الورد الساحلي

– أعد للوادي المنابع

– و لك على الفوز و الانتصار[2]

بترجمة مغايرة:

– انزار يا أنزار

– يا زهر السهول

– أعد للنهر جريانه

– وتعالى خذ بثأرك [3]

و في تلك اللحظة بالذات إشتقت السماء بنور باصر بهيئته شرارة برق ضخمة فضم إليه الفتاة و على أكتافه اخترقت أعالي السماء. حينها استعادت الوديان سيلانها و الأرض اخضرارها.

[1]محمد أوسوس: طقوس الاستمطار الأمازيغية البربرية و أساطير بشمال أفريقيا، ص 88.

[2]أمحمد جلاوي، التراث و الحداثة في أشعار لونيس ايت منقلات، ص 30

[3]محمد أوسوس: طقوس الاستمطار الأمازيغية البربرية و أساطير بشمال أفريقيا، ص 88.

**الطقس:**

ما الطقس فسوف نتبع فيه تغييراته بدقة و نظهر أسباب هذا التغير:

عند بداية القحط و انعدام نزول المطر، تقرر مجموعة من النساء الاجتماع لتنظيم مراسيم طقوس الاستمطار و ذلك بتحرير الموعد، ثم تختار إحدى سيدات بتقديم ابنتها العروسة لأنزار التي تتوفر فيها شروط معينة حيث يجب أن تكون من أشرف نساء القرية و أن تكون هذه العروسة على قدر كبير من الجمال و البهاء وان تكون نيتها صادقة و صافية لا يشوبها تعكير.

و بعد استفاء جميع هذه الشروط و ليحين موعد المحدد، تقوم سيدة مسنة من القرية تحظى بالهيبة و الحب بين قومها بتزيين الفتاة على أنها عروس تجهزها بكامل تجهيزات الزفاف. وبعدها ينطلق الموكب الذي يتشكل من نساء وفتيات و أطفال ليطوف الجمع بالقرية بيتا بيتا. ويكبر الموكب بانضمام أعضاء اخرين خلال طوافه بأرجاء القرية و يردد الجميع بصوت واحد:

- أنزار يا أنزار
- يا اله لطف هذا الحر
- لتينع خيرات الجبال
- و كذا غيرها من السواحل[1]

و بترجمة مغايرة:

- أنزار يا أنزار
- أيها الملك كف عنا الجفاف
- كي ينضج المحصول على الجبل

[1]أمحمد جلاوي، التراث و الحداثة في أشعار لونيس ايت منقلات، ص 31.

– و ينمو منتوج السهول [1]

و عند وصولهم إلى أي بيت تقدم لهم الصدقات زيت، دقيق، خضر و غيرها، لما يدور الموكب ضخم بكامل منازل القرية تكون نهايته إلى أحد مسجد أو معبد القرية، أين تقام الوليمة التي تطبخ بما جمع من صدقات. و لما تأكل الوليمة، تغسل الأواني و ترتب، و تصب مياه الغسيل في ساقية لتذكير الإله بحرمان جريانها.

ثم ينتقل الجميع إلى المرحلة الثانية من الطقس أين تقدم العروس لزوجها الاله أنزار في الصورة التي يحبها حيث تأتي العجوز بابنتها وسط الجميع من المحتفلين و تجردها من ثيابها، و تتركها عارية تماما، وتلفها بإحدى الشبكات المستخدمة لنقل ضمات السنابل و العلف و هذا الدلالة على أنه لم يعد هناك في الأرض أثر للعشب أخضر و تأمرها بأن تطوف بهذا المعبد او المسجد أو الضريح سبع مرات و هي مغرفا (أغنجا) طالبة بها قطرات غيث و هي مرددتا واهبة نفسها لاله المطر:

–يا آلهة الأمطار منو علينا بالمياه

– و منا لكم الأرواح فداء و قربانا [2]

بترجمة مغايرة:

– يا سيد الماء امنحني الماء

– اني أصب روحي لمن يريدها [3]

و لما تنتهي من الطواف تتجه إلى الإله لتتوسل إليه و تذكره بما حل بالأهالي من مأساة بعد انقطاع الأمطار بكلام شاعري تقول:

[1]محمد أوسوس: طقوس الاستمطار الأمازيغية البربرية و أساطير بشمال أفريقيا، ص 90.

[2]أمحمد جلاوي: التراث و الحداثة في أشعار لونيس ايت منقلات ص 31.

[3]محمد أوسوس: طقوس الاستمطار الأمازيغية البربرية و أساطير بشمال أفريقيا ،ص 90 .

- قحط حل بالبرك

- أصبحت قبرا للسمك

- و الراعي غارق في الهم و الشرور

- حين خذت المراعي جدب و بور

- الجماعة أفلست و جاعت

- و إليّك الرقطات اشرابت[1]

و عند انتهاء هذه المناجات، ترد النسوة بشكل جماعي بعبوة واحدة مرددين أشعار مشيدة بالإله أنزار و مدح العروسة و جمالها فيقلن في هذا المقطع:

- أنزار أيها الاله

- سرك غائر أوحد

- فزت بفتاة كاليقوت

- شعرها حريري ممدد

- خذها و ألهمها أجنحة

- و في غور السماء بها اصعد

- من أجل حسنها الفتان

- أرويت كل ظامئ عطشان[2]

[1]أمحمد جلاوي: التراث و الحداثة في أشعار لونيس ايت منقلات، ص 32.

[2]أمحمد جلاوي: التراث و الحداثة في أشعار لونيس ايت منقلات ،ص 32 .

و بعد هذه المرحلة تأتي المرحلة الأخيرة من الطقس، حيث تجتمع كل الفتيات اللواتي بلغن سن الزواج في ساحة قرب المعبد أو المسجد أو الضريح ليشاركن عروسة أنزار التي لا تزال عارية لعبة "زرزاري zerzari" التي هي عبارة عن كرة من فلين يريد الجميع الاستحواذ عليها و إدخالها داخل حفرة في الأرض و يتم ذلك بواسطة مضارب خشبية لعبة تشبه الغولف تدوم اللعبة وقت محدد، لتنتهي بدفن الكرة الفلينية المستعملة، داخل حفرة و عند هذا الفعل تردد النسوة أهازيج الوداع للإله الأمطار على أمل أن يرضى بعروسه و يعيد الغيث المفقود

- فزنا بالمطلب المقصود
- قران العروس بالند المنشود
- الاله غلى الأرض ينزل
- و العروسة راضية به بعل
- أيها الاله أعد الينا الأمطار
- رفقا الأرض كساها الاصفرار
- لكي تثمر النعم و العلف
- كما أثمر ثم النسل و الخلف[1]

و بعد هذه الأهازيج الأخيرة ينصرف الجميع قبل غروب الشمس و كل يعمل قناعة بأن إله المطر لن يخيب توسلاتهم و توسل العروس و أن المطر سينزل عما قريب.

أما عن التغيرات الحاصلة على هذا الطقس الأول مع مرور الوقت و دخول الإسلام في منطقة القبائل، و استقرار المرابطين فيها، فقد سقط البعد الحسي عنها و استبدلت الفتاة "بالمغرف" الذي يزين على شكل عروس و تقام حوله الطقوس.

[1] المرجع نفسه، ص 33.

و يعود سبب هذا التغيير إلى المكانة التي قدمها الدين الإسلامي للمرأة و عفتها و عدم السماح لأحد رايتها إلا زوجها و هي عارية، رغم غياب الرجال عن الطقوس و بعد هذا التغير بدأت مراحل الطقوس بنقصان فلم تعد المرحلة الثالثة تقام، لان المغرف لا يستطيع اللعب مكان الفتاة.

ثم أصبح المغرف يقدم إلى طفل أو طفلة تدور به جميع أرجاء القرية ثم دوران حول المعبد أو المسجد أو الضريح. مع اقامة جميع الطقوس المرحلة الأولى و الثانية.

و بعد مدة من الزمن فلم تبقى في هذه الطقوس إلى المرحلة الأولى التي ما تزال تقام في بعض القرى إلى غاية اليوم في منطقة القبائل.

# قائمة المصادر والمراجع

## قائمة المصادر و المراجع:

### القرآن الكريم


1. أ أنيهاردت :الآلهة و الأبطال في اليونان القديمة ،تر هاشم حمادي ،دار الاهالي لطباعة و النشر ،ط01،دمشق سوريا،1994
2. الأب هبري المقدسي، الموجز في المذاهب و الاديان، مجموعة حضارات ،2007.
3. ابراهيم عبد الحافظ، دراسات في الادب الشعبي ،مكتبة الدراسات الشعبية الهيئة العامة للقصور الثقافة القاهرة، مصر.
4. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج2، دار الفكر للطباعة و النشر، بيروت، 1965.
5. ابن منظور : لسان العرب, دار صادر، بيروت ،1992.
6. أبو الفضل جمال الدين محمد ابن منظور، لسان العرب، ج05، دار صادر و دار بيروت
7. أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترميذي : سنن الترميذي ،دار الفكر للطباعة و النشر بيروت لبنان، 2005 .
8. أبو منصور بن أحمد الأزهري، تهذيب اللّغة، مادة رمز، تحقيق أحمد عبد العليم البردوني مراجعة: علي محمد البجاوي، الدار المصرية للتأليف و الترجمة، مطابع القاهرة، مصر،
9. أسامة عدنان يحي : الالهة في رؤية الانسان العراقي القديم ،دار الصداقة للنشر الالكتروني مركز الصداقة الثقافي، فلسطين ،www.alsdaqa.com
10. الالوسي ،روح المعاني في تفسير القران العظيم ،الجزء 19.
11. إمام عبد المفتاح إمام، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، سلسلة كتب الثقافية دار المعرفة الكويت 1993.
12. امحمد جلاوي، التراث و الحداثة في أشعار لونيس ايت منقلات، الورقة الزرقاء ،2007 .
13. أمين سلامة، الأساطير اليونانية و الرومانية ،دار الفكر العربي، ب ت.
14. إنجيل يوحنا
15. بارث رولان ،أساطير، ترجمة سيد عبد الخالق، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة مصر 1995.

16. بريو شينكين س، اسرار الفيزياء اللفلكية و الميثولوجيا القديمة ،ترجمة حسان ميخائيل اسحق دار علاء الدين للنشر و التوزيع و الترجمة ،الطبعة 1 ، سوريا ،2006.

17. بسام الجمل، من الرمز إلى الرمز الديني، (بحث في المعنى والوظائف والمقاربات)، مطبعة التشفير الفني بصفاقص، ط1، 2007

18. التكوين , الإصحاح الأول

19. خزعل الماجدي ،البخور الآلهة، الطبعة الأولى، الأهلية للنشر و التوزيع ،الأردن ،1998.

20. رينيه ويليك، مفاهيم نقدية، ترجمة محمد عصفور، سلسلة كتب ثقافية شهرية، الكويت.1990.

21. الزمخشري، أساس البلاغة، ج 1، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية بيروت ط1، 1988،

22. سيد قطب: في ظلال القران, ج 6, طبعة 9, دار الشروق ،مصر، 1980.

23. سيد محمد القمني : قصة الخلق منابع السفر التكوين، المركز المصري للبحوث الحضارة، ط 02 1999 .

24. صامويل نوح كريمر، أساطير العالم القديم ،ترجمة احمد عبد الحميد يونس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1974.

25. عادل تيودور خوري، مدخل للأديان الخمسة ،المكتبة البوليسية ، ط الاولى جونيا، لبنان 2005.

26. عبد المالك مرتاض ,الميتولوجيا عند العرب, دراسة لمجموعة من الأساطير و المعتقدات العربية القديمة , مكتبة الوطنية للكتاب الجزائر 1989

27. عبد النور جبور , المنجد في اللغة العربية , ط 2, دار المشرق , بيروت , لبنان، 2000.

28. فراح السواح لغز عشتار، دار علاء الدين لنشر، ط8 2002

29. فراح سواح الأسطورة و المعنى دار علاء الدين للنشر و التوزيع و الترجمة 2001

30. فراح سواح مغامرات العقل الأولى دار علاء الدين للنشر و التوزيع ط 7 دمشق سوريا

31. ك . ك راثنقين ،الاسطورة، ترجمة جعفر صادق الخليلي، الطبعة 1 ،منشورات عويدات (سلسلة زدني علما ) لبنان 1981 .

32. الكسي لوسيف : فلسفة الأسطورة ،ترجمة منذر بدر حلوم، الطبعة 1 ،دار الحوار للنشر 2000.

33. مجد الدين بن يعقوب الفيروزبادي : القاموس المحيط , ج 2 دار الجيل , بيروت , لبنان
34. مجموعة باحثين , الأسطورة توثيق حضاري , ط 1 , جمعية التجديد الثقافية و الاجتماعية قسم الدراسات و البحوث سلسلة عندما نطق السراة , مملكة البحرين 2005 , ص 14–17
35. محمد الجوهري مقدمة في دراسة التراث الشعبي المصري دون دار نشر 2006
36. محمد عبد المعبد خان, الأساطير و الخرافات عن العرب, الطبعة الثالثة , دار الحداثة, بيروت لبنان 1981,
37. محمد فتوح أحمد، الرمز و الرمزية في الشعر المعاصر، دار المعارف ا، القاهرة، مصر، ط3
38. المصحف الشريف مع أسباب النزول، فهرس المواضيع و الألفاظ، تحقيق محمد حسن الحمصي، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر،ص 55.
39. مهاب درويش:الفكر الديني في مصر القديمة ,مكتبة الإسكندرية ,مصر
40. ميرسيا الياد : مظاهر الأسطورة ترجمة نهاد خياطة , الطبعة 1 , دار كنعان للدراسات والنشر سوريا 1991
41. النجار زغلول راغب محمد:من آيات الإعجاز العلمي :الأرض في القران الكريم،دار المعرفة ،ط01،بيروت لبنان،2005
42. ويليام ويمنزات , الاسطورة و النموذج البدائي , ترجمة محي الدين صبحي مجلة الأقلام العدد 8 العراق , أيار 1976
43. ياروسلافتشرني : الديانة المصرية القديمة ترجمة احمد قدري دار الشروق الطبعة الأولى القاهرة مصر 1992

**الكتب الاجنبية:**

44. Akkache Maacha Dehbia, art artisanat traditionnel et folklore Mehdi Alger 2008
45. Eliadmicea : sacré et profane , folio essai galimard 1994
46. FRNEST CASSIRER : Language and myth , publication.inc Newyork – USA
47. FRNEST CASSIRER : Language and myth , publication.inc Newyork – USA 1946 .
48. G.A . Colman, The dictionary of mythology, A.N.Z the Emes , legends and hero- ARTURUS. Publishing – limited, England 2007

49. GOHN LEAVIT : Préentationnlemyth aujourd'hui abthropoligie et 2 – société, vol 29, n02 , 2005 www.crudit.org

50. MAX MULLER : The Philosofy of mythology appended toitroduction to the science of religion, England 1873

51. Picard « notes de chronologie punique : Le problème du V Siècle » Karthogo XII ( 1963 – 1964 ) PARIS 1965

**الدوريات:**

52. أشرف أيوب معوض طقوس الخصوبة في المجتمع المصري مجلة الثقافة الشعبية العدد 28 البحرين 2015

53. بشير زهدي , مقدمة في الميتولوجيا– مجلة المعرفة العدد 197 , عدد خاص الأسطورة والفكر الأسطوري , وزارة الثقافة و الارشاد القومي , سوريا 1978

54. قصي منصور عبد الكريم تركي جوانب من جذور الحضارة لأساطير بلاد الرافدين و اثرها في الثقافة الافريقية القديمة المجلة المغاربية للدراسات التاريخية و الاجنماعية العدد 7 الجزائر ديسمبر 2013

55. محمد أوسوس : طقوس الاستمطار الامازيغية البربرية و أساطير بشمال إفريقيا، مجلة الثقافة الشعبية ،العدد 14، 2011

**الرسائل الجامعية:**

56. آمنة مقران، الرمز في شعر مصطفى الخماري، رسالة لنيل شهادة الماجستير، كلية الآداب واللّغات الإنسانية، قسم اللّغة العربية و آدابها، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2010

57. الحسين الناصري تحت عنوان الحمام المقدس رسالة لنيل شهادة الماستر جامعة مراكش المغرب 2015

**58.** ذهبية أيت قاضي : العلاقات الأسرية في الحكاية الشعبية القبائلية رسالة لنيل شهادة الماجيستير , كلية العلوم الانسانية , قسم الأدب العربي , جامعة تيزي وزو 1999

**59.** شهيرة بوخنوف:اساطير وطقوس الاستسقاء واستقبال الربيع في خراطة (بجاية)،مذكرة لنيل شهادة الماجستير،جامعة مولود معمري،2012

60. محمد دحماني : حكايات كرامات الأولياء في منطقة الشلف , مذكرة لنيل شهادة الماجيستير جامعة بن يوسف بن خدة الجزائر 2005

**61.** مصطفى أوشاطر, الأسطورة في التراث الشعبي ,رسالة دوكتوراه في الأدب الشعبي , جامعة أبي بكر بلقايد, الجزائر 2003 – 2004

62. نبيل حويلي : أشعار الزواج لمنطقة عزازقة رسالة لنيل شهادة الماجستير , كلية الأدب واللغات قسم الأداب العربي ,جامعة تيزي وزو 2012

# الفهرس

# الفهرس


المقدمة ..... ا-ب

المدخل..... 4

الفصل الأول ماهية الأسطورة

1- تعريف الأسطورة ..... 15

أ- مفهوم اللغوي ..... 15

ب- مفهوم الاصطلاحي ..... 18

2- خصائص الأسطورة ..... 22

3- الفرق بين الأسطورة و أشكال التراث الشعبي ..... 23

4- أنواع الأساطير و تصنيفها ..... 25

الفصل الثاني رمز الماء في أسطورة أنزار

-01 رمز الماء في الأديان..... 29

أ- رمز الماء في الدين الإسلامي ..... 29

1- الماء أساس الخلق و سبب الحياة..... 29

2- الماء رمز للطهارة في الإسلام..... 31

ب- رمز الماء في اليهودية و المسيحية ..... 32

1- الماء أصل الحياة ..... 32

2- الماء رمز الطهارة..... 34

-02 الماء في المعتقد الشعبي..... 35

أ- الماء رمز الخصوبة..... 35

ب- الماء رمز للقداسة..... 37

ج- الماء رمز للكرامات عند أولياء الصالحين ..... 38

-03- رمز الماء في الأسطورة..... 39

أ- الماء رمز نشوء الموجودات و أساس الخلق ..... 39

ب- الماء رمز للخصوبة..... 43

ج- الماء رمز للدمار و الهلاك..... 46

-04 رمز الماء في أسطورة أنزار..... 49

أ- الماء رمز للحياة..... 49

ب- الماء رمز للخصوبة..... 52

الفصل الثالث رمز الأرض في أسطورة أنزار

01- رمز الأرض في الأديان..... 58

أ- رمز الأرض في القران الكريم ..... 58
ب- رمز الأرض في المسيحية..... 59
02- الرمز في المتقد الشعبي..... 60
03- رمز الأرض في الأسطورة..... 61
أ- الأرض رمز الخصوبة..... 61
ب- الأرض رمز الأمومة ..... 64
04- رمز الأرض في أسطورة أنزار..... 67
أ- الأرض رمز للخصوبة ..... 67
ب- الأرض رمز للأنوثة ..... 70
الفصل الرابع رمز المرأة في أسطورة أنزار
01- رمز المرأة في الأديان..... 72
أ- رمز المرأة في الإسلام..... 72
1- رمز المساواة..... 72
2- رمز الكيد..... 73
ب- رمز المرأة في المسيحية و اليهودية ..... 74
1- المرأة رمز الخطيئة..... 74
2- المرأة رمز النجاسة ..... 75
02- المرأة في المعتقد الشعبي..... 76
أ- المرأة رمز للمسؤولية و ركيزة أساسية في البيت ..... 76
ب- المرأة رمز الاقتصاد..... 78
03- رمز المرأة في الأسطورة ..... 77
أ- المرأة رمز كقربان..... 77
ب- المرأة رمز للآلهة..... 80
04 رمز المرأة في أسطورة أنزار..... 82
الخاتمة ..... 85
الملاحق ..... 89
قائمة المصادر و المراجع ..... 98